عبد الرحمن الابنودى

آمال حسن

مؤسسة دار الفرسان
للنشر والتوزيع
٥١ش ابراهيم خليل المطرية
ت : ٢٢٥١١١١٠ – موبايل : ٠١٢٢٩٨٧١٢٣٧

اسم الكتاب :عبد الرحمن الأبنودى
(رجال عشقوا مصر)
المؤلـــف : آمال حسن
الناشـــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف: فرى برنت- ٠١٠٤٤٧٠٦٤٥
رقم الإيداع : ٨٥٦٤
طبعة أولى : ٢٠١٦

فهرسة أثناء النشر

حسن ، آمال
عبد الرحمن الأبنودى (رجال عشقوا مصر) / آمال حسن – القاهرة.– ط١
مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع
١٦٠ص ؛ ٢٤ سم
تدمك :١-٨٢-٦١٦٩-٩٧٧-٩٧٨
١ – الرجال – تراجم
أ. العنوان ٧٠و٩٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن
قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا)

صدق الله العظيم
طه ١١٤

مُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعر هو الصنف الأدبي الأكثر شعبية في البلاد الناطقة بالعربية. من لم يقرأوا رواية واحدة في حياتهم، كثيرًا ما يحفظون بعضًا من الشعر، وربما كتبوا بعضه. في حين أن سوق الكتب ومقروئية الأدب والشعر محدودة للغاية، فإن الشعر العربي يتمتع بقدر أعرض من الرواج، لأنه على النقيض من أوروبا وأمريكا الشمالية، ما زال عميق الصلة بالكلمة المنطوقة – ومن ثم فكثيرًا ما يخرج إلى نطاق الإعلام المرئي والمسموع . ينعكس هذا أيضًا في كيفية استمرار أغلب الشعر العربي الحالي في الاعتماد على القافية والوزن. والأساليب الأكثر نزوعًا للتجريبية من الشعر الحر لها وجود وتُنتج وتُستهلك في الدوائر الأدبية الأضيق، لكن الشعر الذي يدخل في نطاق الفن الذي يتمتع بالشعبية فهو ما زال ملتزمًا بالقافية والوزن والطبيعة الموسيقية من حيث اللغة. والواضح أن للشعر صلة قوية بالموسيقى. في شعر الجاهلية، كان الشعر والأغنية لا انفصال بينهما (أدونيس ١٩٨٦). وفي الوقت الحالي، لا توجد حدود واضحة بين الشعر والأغنية. لكن هناك بالطبع فارق مادي بين الكلمة المكتوبة والمنطوقة، وبعض الشعر أفضل للغناء، في حين أن بعضه الآخر أفضل في القراءة والجرافيتي.

للشعر في اللغة العربية تاريخ طويل وعظيم معروف أيضًا عند علماء الأدب الغربيين (بالنسبة للأبحاث الغبرية انظر على سبيل المثال: كينيدي ٢٠٠٧، جيوشي ١٩٩٧، بدوي ١٩٧٥، خوري ١٩٧١).

فكان أقدم الشعر العربي المعروف متداولاً قبل الإسلام بكثير، وتم جمعه في قالب كتابي في القرون الأولى للإسلام. ما زال "شعر الجاهلية" يُنظر إليه بصفته المعيار الأعلى للتعبير الشعري العربي حتى الآن، ولابد أن يبدأ التعليم الأدبي العربي بقصائد الأولين تلك، ثم القوافي والأوزان، ونظريات الخطابة والشعر، وأعمال الشعراء الكلاسيكيين عبر القرون، ثم أخيرًا، قد يدخل في المنهج بعض الشعر المعاصر.

الشعر وثورات الربيع العربى

إن الشعر المكتوب أو المنطوق في مكان مثل مصر حالياً يختلف من عدة أوجه عن الموروث الشعري. القصائد المعاصرة هي في الأغلب قصيرة، ونادرًا ما تلجأ إلى قالب الشعر العمودي الكلاسيكي. تتميز بوحدة معنى تضم القصيدة بالكامل، على النقيض من الشعر العربي الكلاسيكي حيث وحدة المعنى للبيت وليس للقصيدة. كما أنها كثيراً ما تكون مفتوحة على تأويلات كثيرة، وتستمد إلهامها من النظرية الرومانطيقية يعبر فيها الشاعر عن ذاته، على النقيض من الشعر العربي القديم، حيث الإبداع في التعبير هي النقطة المهمة، وليس أصالة المعنى. وهناك جزء يزيد عرضًا من الشعر المعاصر يُكتب ويُقرأ بالعامية المصرية، ويختلف عن شعر الفصحى في المظهر والتراكيب، وفي المجاز. نتيجة لهذا، بدأ يظهر تقسيم يفصل الشعر العربي الكلاسيكي -الأكثر جدية والمحافظ عمدًا أو الطليعي بشكل واعٍ- عن الشعر المصري العربي كحامل لرسالة شعرية أكثر شعبية وظرفًا وبساطة. هناك استثناءات مهمة في هذا التقسيم، على سبيل المثال قصيدة النثر بالعامية، التي أطلقتها مجموعة من الكُتاب الشباب في التسعينيات، والمرتبط بالجماليات الأدبية الطليعية.

وسواء كان بالفصحى أو العامية، فإن للشعر وجود قوي في الحياة، ويقتبس الكثيرون منه للتعبير عن مشاعرهم، وللمحاججة لإثبات نقطة بعينها، أو لمحاولة فهم موقف ما. وكما هو ظاهر في السنوات القليلة الماضية، أصبح الشعر مرتبطاً بلغة الخلاف السياسي والمعارضة.

في شتاء ٢٠١٠ و٢٠١١ وأثناء الربيع والصيف التاليين، هزت مجموعة من الانتفاضات الثورية الوطن العربي. كانت بداية موسم عاصف من المواجهات السياسية والتحولات العشوائية في الأمزجة والتحالفات، واضطرابات اجتماعية عامة، وكانت الأيام الحماسية الأولى –تحديدًا– لحظة شعرية من وجهين. أولاً، تحول الشعر إلى شعارات ثورية مهمة لحشد الانتفاضات وللتعبير عن المطالب. ثانياً، الحالة الشعرية للحظة الانتفاضة في حد ذاتها:

"الثورة في حد ذاتها لحظة شعرية من حيث أنها تتناول الأمور العادية، الظاهرة والواضحة، كالكلام والنثر، وتتلاعب بها، وتتساءل عن ماهيتها، ولا تقبل بالمسلمات، فتجمعها في منظومات جديدة. [...] إذا كان الخيال في الأيام العادية يسبق العمل على الأرض بفتح مساحة للتفكير في البدائل، ففي وقت الثورة، يسبق الفعل الخيال ويشكله. كانت تلك هي اللحظة الثورية الأولى: مولد الإحساس بشيء لم يكن حتى تاريخ لحظة الثورة في نطاق ما يمكن تخيل أنه قابل للتحقق". (شيلكه ٢٠١٤)

وتبين على امتداد السنوات التالية أن الأمر أكثر تعقيدًا وإحباطًا وعنفًا بكثير. وأنا أكتب هذا المقال في يناير ٢٠١٤، تبين الإخفاق الكارثي لجميع الثورات تقريبًا (ربما باستثناء تونس التي لم يتحول فيها حتى الآن الخلاف السياسي في مرحلة ما بعد الثورة إلى إراقة الدماء). حالة تلك الأيام الخيالية، تبدو الآن أنها في نطاق الخيال والفانتازيا بالفعل. أو – وهذه فكرة أكثر إزعاجًا – ربما أسهم الطابع الفانتازي لتلك الأيام في الفوضى الدموية التي تلتها. سأعود إلى هذه الفكرة في نهاية المقال.

في معرض الكتابة عن الشعر الذي سُمع وأُنتج أثناء الأيام الأولى للثورة المصرية، وصف مترجمان الأدبيان لويس ساندرز الرابع ومارك فيسونا (٢٠١٢) الشعر بأنه "روح التحرير" وأعلنا أن له القدرة على تشكيل وتسمية ما كان يتجسد في تلك اللحظة. كما أشارا إلى مفهوم وجسد "الشعب" كونه كان في القلب من تلك القصائد التي تعكس رؤية للانتفاضة وتوجهها، على مسار التحرر الوطني والوحدة الوطنية. مرَّ هذا الأمر في البداية دون أن يلاحظه الأكاديميون والمراقبون في الإعلام الغربي، الذين أولوا اهتمامًا زائدًا للإسلاميين في لحظة بدوا فيها أنهم الفائزون بالانتفاضة. لكن السياسة الدينية لم تنجح في إيجاد الوحدة بين المصريين من مختلف الاتجاهات، بل بالعكس تبين أنها قاسمة للغاية لدرجة أنها وفرت فرصة لثورة مضادة في ٢٠١٣ تشكلت بوضوح وجلاء في صورة "الشعب" ضد "الإرهابيين". روح الوطنية وحب الوطن التي تشكلت في التحرير في عام ٢٠١١، أصبحت في ٢٠١٣، هي الأساس للإيمان بإنشاء نظام عسكري جديد دخل في مواجهة عنيفة للغاية للقضاء على الإخوان المسلمين وحلفائهم.

ولقد انحازت الكثير من الدوائر الأدبية البارزة في العاصمة لهذا التحول القومي، ودعموا في مناسبات عدة القيادة العسكرية الجديدة والقمع الغاشم لمعارضيه تحت لواء "الحرب ضد الإرهاب". هناك روائيون مثل علاء الأسواني وصنع الله إبراهيم، وشعراء مثل عبد الرحمن الأبنودي وأحمد فؤاد نجم، دافعوا في ٢٠١١ بضراوة عن الثورة، ثم تحدثوا بعد صيف ٢٠١٣ عما اعتبروه تطهيرًا ثوريًا لمصر من العناصر الإرهابية غير

الوطنية (عظيمي ٢٠١٤، الأبنودي ٢٠١٤، ليندسي ٢٠١٣، سي إن إن عربي ٢٠١٣، نجم ٢٠١٣). وعلى الجانب الآخر من الخلاف، فقد أنتج شعراء أقل شهرة متعاطفين مع الإخوان المسلمين نصوصًا تخدم قضيتهم، وأحيانًا تعبر عن إحباطهم من تحول الكثير من الناس لما يسمونه "عبيد البيادة" (انظر على سبيل المثال موسى ٢٠١٣). لكن هناك آخرين اتخذوا موقفًا مختلفًا، إذ لا يدعمون الحكم العسكري أو الإخوان المسلمين، فهم يشعرون بالإحباط والتهميش في وجه هذه الدائرة المدمرة للغاية من المواجهات والعنف (انظر على سبيل المثال شحاته ٢٠١٣). وكان الكاتب الساخر البارز بلال فضل من بين أصوات هذا المعسكر الثالث.[vii]

لذا، عندما نسأل هل يمكن للشعر تغيير العالم، فهو سؤال موجه إلى تغير ملتبس ومتباين. لا مفر من اليقين المتعجرف الذي أعلنه سارتر (١٩٤٩، ص ص ٦٣ – ٦٤) الذي زعم في دعوته لـــ"الأدب الملتزم" (littérature engagée) أن الأدب الجيد والقضية الجيدة لا انفصال بينهما. لابد من طرح السؤال بشكل مختلف: ما العلاقة بين الشعر والعالم الذي نحياه؟

التخيل فى الشعر وقوة التغيير

الشعر هو مساحة الحرية حيث يمكن للمرء أن يتخيل ويستكشف الأفكار دون أن يضطر للنظر إلى جدوى التحقق العملية. غير أن المرء ليس حرًا في أن يكون له مجال غير محدود من الخيال. لذا ليست هذه نظرية يمكن للناس بموجبها أن يجرؤوا على تخيل شيء ويسعون لتحقيقه.

على النقيض، فإن مجال الخيال مورد نادر (في مفهوم علم الاقتصاد) متوفر لناس مختلفين بدرجات متفاوتة. الخيال، على حد قول مختار، مرتبط بدوره بالأحلام (الأحلام هنا بمعنى الخيالات المرتبطة بالتوقعات التي يمكن أو يجب تحقيقها). ما كان على مستوى الخيال لعبة ذهنية، يمكن كحلم أن يُطارد ويُخطط له. مثل هذه الأحلام، في النهاية، يمكن أن تكون أساسًا لاختيارات الناس، وتحركات ملموسة لها تأثير مادي، وتغير في الواقع بشكل أو بآخر. وتلك الحقيقة بدورها هي الأساس الذي يحدد مجال الأحلام والخيالات. لكنها عملية غير قابلة للتنبؤ، كما يوضح مختار: الثورة كانت وبشكل جزئي مرتبطة بكيف تمكن الناس من تحويل الخيالات المستحيلة إلى أعمال ملموسة، لكن هذه الأعمال لانهائية المجال. إنها تبدأ دورة جديدة من الاختيارات والأحلام والخيالات، وطالما الدائرة غير مكتملة، فإننا نفتقر إلى مجال لتخيل تبعاتها.

على ضوء هذه النظرية، يصبح من الواضح أن سؤال ما إذا كان بإمكان الشعر تغيير العالم، قد طُرح بشكل مضلل لسببين: أولاً، الشعر ليس منفصلاً عن العالم أصلاً، ومن ثم لا يمكن ربطه بالعالم بعلاقة سببية. إنما هو جزء من العالم مع تغيره، ومع تحول الخيالات إلى أسس للأحلام والأفعال، والأفعال والخبرات تغذي المتخيل وتلجّمه في الوقت نفسه. الخيال بدوره مورد نادر. ثانياً، تم طرح السؤال بقدر كبير من الهوس، كأن الأشياء الدراماتيكية والعظيمة فقط هي المهمة. هذا الهوس كان مغريًا في مصر في عام ٢٠١١. الحديث عن "التغيير" كان في كل مكان، ولم يكن معناه أي تغيير. بل تحول ضخم وأساسي وكامل في مسار الإنسانية

والسياسة والمجتمع في العالم. هذه الرؤية العظيمة للتغيير تتجاهل إمكانية مسار تغير بعض الأشياء عند قلة من الناس. كما تتجاهل إمكانية أن يأتي التغيير بأمور سيئة.

والأكثر حدوثاً أن العلاقة المنتجة بين الخيالات والأحلام والأفعال مقتصرة على التغير الحميمي والشخصي وليس لها كبير أثر على العلاقات الأكبر الخاصة بالسلطة. كما يذكرنا أمل دنقل في "من أوراق أبي نواس"، فإن ذهب الأمراء أقوى بكثير من ثرثرة الشعراء. ومن هنا أيضًا يرى مختار الموقف بعد أكثر من عامين، إذ يطلعنا على إحباطه المرير مما آلت إليه الأحداث:

"الشعرا بيغيروا بس ف دنياهم المتخيلة اللي بتتوازي مع دنيا المحبطين. مفيش تغيير حقيقي بيحصل، لكن لو حصل التغيير بيكون بقوة ومكر وألاعيب، والحالمين والشعرا بس بيتم استغلالهم وتصديرهم بكلامهم الحلو لتجميل الصورة... اللي بيغير هو صاحب المصلحة الواقعية والشعرا والحالمين بيقدموا تغيير لعالم حالم ملوش علاقة بعالم الواقع وبس بيتم استغلالهم [من خلال أصحاب المصلحة السياسية]. يعني عُمر الإخوان حبوا أمل دنقل، ولا عُمر الثوريين بطلوا حلم، ولا عمر العساكر ف أي بلد بيفهموا ف الشعر ولا الأحلام."

من هو عبد الرحمن الأبنودى ؟

هل هو الخال أم الشاعر ؟

الإسم بالكامل : أحمد عبد المعين عبد العزيز

الأبنودي من مواليد عام ١٩٣٨ في قرية أبنود بمحافظة قنا بصعيد مصر. عاش في أسرة متواضعة، وأبدى منذ صغره اهتماما بالشعر، وبدأ كتاباته الشعرية باللهجة العامية، ثم حصل على شهادة جامعية باللغة العربية من كلية الآداب في القاهرة.

قبل أن ينتقل مع عائلته إلى مدينة قنا، والده كان يعمل مأذونا شرعيا. نزح إلى القاهرة للدراسة، حيث حصل على ليسانس آداب لغة عربية من جامعة القاهرة، وكان ضليعًا في اللغة العربية. كون مع أمل دنقل ويحيى الطاهر ثلاثي إبداعي، وقاموا بكتابة شعر الفصحى ببداية الستينيات، ليتحول بعدها إلى شعر العامية، والذي تحول إلى العديد من الأغنيات لأبرز المطربين.

الشاعر عبد الرحمن الأبنودي .. حارس التراث القروى المصرى يعد عبد الرحمن الأبنودى من أشهر شعراء الشعر العامي في العالم العربي .. شهدت معه وعلى يديه القصيدة العامية مرحلة انتقالية مهمة في تاريخها .. وهو من قلائل شعراء العامية الذين أوجدوا لأنفسهم مكانا في وجدان الجماهير العربية، فهو يعتبر نفسه الحارس على التراث القروي المصري.

ينتمى إلى اسرة في قرية ابنود بمحافظة قنا .. ولد عام ١٩٣٨، وعاش حياة فقيرة جدا .. كان يعمل والده مأذون شرعي .. انتقل عبد الرحمن إلى مدينة قنا حيث استمع إلى اغاني السيرة الهلالية التي تاثر بها وكان ضليع في اللغة العربية بشهادة اساتذته وكان يسمى في الطفولة رمان من شدة حبه للرمان.

في بداية الستينيات حمل القطار الآتي من الصعيد ثلاث مواهب استثنائية: أمل دنقل، يحيى الطاهر عبد الله، والأبنودي. كان الثلاثة سمر الوجوه، ناحلين، مزاجهم ناري، وفي أعماقهم ضعف عميق تجاه الفقراء .. كانت لديهم قناعة بضرورة "غزو المدينة ـــــــ القاهرة" التي كانت أشبة بـــ "النداهة"، تدعو كل صاحب كلمة وقت الثورة ليشارك في معاركها .. "اقتسم الثلاثة فنون الإبداع بينهم: لأمل شعر الفصحى، وليحيى القصة والرواية، وللأبنودي شعر العامية .. كان الأخير يعرف أن لديه كنزا لا يملكه الآخرون: قرية أبنود في جنوب مصر، بعاداتها وتقاليدها وناسها، وأمه فاطمة قنديل التي كانت سجلا لكل أشعار القرية وطقوسها، والجدة "ست أبوها" كانتا ـــ الأم والجدة ـــ فقيرتين إلى أبعد الحدود، غنيتين بما تحملانه من أغان وما تحرسانه من طقوس هي خليط من الفرعونية والقبطية والإسلامية .. أعتبر نفسي محظوظا لأنه عاش مع هاتين المرأتين.

أما الأب الذى كان شاعرا، فلم يتحمل في ذلك الوقت ما يكتبه ابنه فمزق ديوانه الأول "حبة كلام" .. لكن موهبة الابن كانت أكبر من الاستيعاب. أرسل عبد الرحمن الأبنودى مجموعة من قصائده بالبريد إلى

صلاح جاهين، فلم يكتف الأخير بتخصيص عموده في "الأهرام" للشاب الجنوبي، بل أرسل قصيدتين له إلى الإذاعة ليبدأ تلحينهما وهما "بالسلامة يا حبيبي" لنجاح سلام، و"تحت الشجر يا وهيبة" لمحمد رشدي.

الخال عبد الرحمن الأبنودى

اشتهر الشاعر الكبير الراحل عبدالرحمن الأبنودي بلقب" الخال"؛ لكن قليل منا قد يعلم سر هذا اللقب ودلالاته ولماذا أطلق على الأبنودي ومن قام بإطلاقه عليه.

الروائي المصري جمال الغيطاني كشف عن سر لقب" الخال "الذي أُطلق على الشاعر عبد الرحمن الأبنودي، وذلك خلال الاحتفالية التي أقيمت بمناسبة عيد ميلاد الأبنودي في ٢٠١٤ بمؤسسة الأهرام، وكذلك احتفالاً بصدور ديوان" مربعات الأبنودي."

وقال الغيطاني إن" الشعب المصري عندما كان يحب أحدا ويثق فيه، كان يسميه الخال، لأن الخال لا يرث وليس لديه أية مطامع شخصية، ولذا فقد أطلقوا على الشاعر عبد الرحمن الأبنودي لقب الخال."

شهدت القصيدة العامية مع الأبنودي مرحلة انتقالية مهمة في تاريخها، وهو يعدّ من أشهر شعراء العامية في مصر، وله عدد من المؤلفات الشعرية، وقدّم العديد من الأغاني لمطربين كبار.

ومن أشهر أعماله" السيرة الهلالية "التي جمعها من شعراء الصعيد، وكتب كلمات أغان لعدد من المطربين، منهم عبد الحليم حافظ وفايزة أحمد

ونجاة الصغيرة وشادية وصباح ووردة الجزائرية وماجدة الرومي ومحمد منير.

مما غني له عبد الحليم حافظ: (عدى النهار، وأنا كل ما أقول التوبة، أحلف بسماها وبترابها، أحضان الحبايب)، ومما غنى له محمد رشدي: (عدوية، تحت الشجرة يا وهيبة، عرباوي)، ومما غنت له شادية: (آه يا أسمراني اللون، أغاني فيلم شيء من الخوف)، وغنى له العديد من المطربين المعروفين مثل: (فايزة أحمد، صباح، وردة، ماجدة الرومي)، كما غنى له محمد منير: (شوكولاتة، كل الحاجات بتفكرني، من حبك مش بريء، برة الشبابيك، الليلة ديا، يونس، عزيزة، قلبي مايشبهنيش، يا حمام، يا رمان).

علاقة الأبنودى بالدراما والسينما :

كما هو عبد الرحمن الأبنودي شاعر مميز، فهو أيضا كاتب مميز للعديد من المسلسلات والأفلام السينمائية التي تركت بصمتها في تاريخ الدراما والسينما المصرية.

كتب أغاني العديد من المسلسلات مثل (النديم)، (خالتي صفية والدير)، و(ذئاب الجبل) وغيرها، وكذلك العديد من الأفلام مثل (شيء من الخوف، البريء). كتب وشارك الدكتور (يحيى عزمي) في كتابة السيناريو والحوار لفيلم (الطوق والأسورة)،

قدم الأبنودي ٣ مسلسلات للتليفزيون المصري، هم :

- وادي الملوك" عام ٢٠١١،
- "شيخ العرب همام – آخر ملوك الصعيد" عام ٢٠١٠،
- و"الدم والنار" عام ٢٠٠٤، و"الفلاح" عام١٩٦٨.

كما قدم عدد من الأفلام السينمائية مثل " و"قفص الحريم"عام ١٩٨٦،

و"ليلة بكى فيها القمر" عام ١٩٨٠

فضلا عن كتابة أغاني الأفلام مثل :

- "البرئ" الذي أبدع فيه الممثل الراحل أحمد زكي.
- وكتابة أغاني أيضا لكل من مسلسل "الرحايا حجر القلوب" عام ٢٠٠٩،
- "الكهف والوهم والحب"عام ١٩٨٩،
- مسلسل "الرحيل" عام ١٩٦٠.

قام بجمع السيرة الهلالية من الشعراء الشعبيين في مجهود ضخم استمر على مدار أكثر من عشرين عامًا من السفر في جميع محافظات مصر، وأصدرها في خمسة أجزاء في فترة التسعينيات.

كتب قصصًا مختلفة عن حياته في صعيد مصر نشرت في حلقات منفصلة بجريدة الأهرام، وجُمعت في كتاب (أيامي الحلوة) الذي صدر على ثلاثة أجزاء.

من أشهر دواوينه الشعرية:

١. الأرض والعيال (١٩٦٤ – ١٩٧٥ – ١٩٨٥)

٢. الزحمة (١٩٦٧ – ١٩٧٦ – ١٩٨٥)

٣. عماليات (١٩٦٨.(

٤. جوابات حراجى القط (١٩٦٩ – ١٩٧٧ – ١٩٨٥)

٥. الفصول (١٩٧٠ – ١٩٨٥)

٦. أحمد سماعين (١٩٧٢ – ١٩٨٥)

٧. انا والناس (١٩٧٣)

٨. بعد التحية والسلام (١٩٧٥)

٩. وجوه على الشط (١٩٧٥ – ١٩٧٨) قصيدة طويلة.

١٠. صمت الجرس (١٩٧٥ – ١٩٨٥)

١١. المشروع والممنوع (١٩٧٩ – ١٩٨٥)

١٢. المد والجزر (١٩٨١) قصيدة طويلة.

١٣. السيرة الهلالية (١٩٧٨) دراسة مترجمة.

١٤. الموت على الأسفلت (١٩٨٨ – ١٩٩٥) قصيدة طويلة.

١٥. سيرة بنى هلال الجزء الأول (١٩٨٨)

١٦. سيرة بنى هلال الجزء الثاني (١٩٨٨)

١٧. سيرة بنى هلال الجزء الثالث (١٩٨٨)

١٨. سيرة بنى هلال الجزء الرابع (١٩٩١)

١٩. سيرة بنى هلال الجزء الخامس (١٩٩١)

٢٠. الاستعمار العربى (١٩٩١ – ١٩٩٢) قصيدة طويلة.

٢١. المختارات الجزء الأول (١٩٩٤ – ١٩٩٥)

تزوج في أول حياته من مخرجة الأفلام التسجيلية (عطيات الأبنودي)، والتي لم لتتخل عن لقب (الأبنودي) بعد انفصالهما، ثم تزوج من الإعلامية (نهال كمال) حتى نهاية حياته، وأنجب منها ابنتيه (آية) و(نور). توفي في ٢١ إبريل عام ٢٠١٥ عن عمر يناهز السادسة والسبعين .

عبد الرحمن الأبنودى

والملاحقات الأمنية

في القاهرة التحق بأحد التنظيمات الشيوعية، فألقي القبض عليه (١٩٦٦). أثناء اعتقاله أخذت المباحث مخطوط ديوانه "جوابات حراجي القط" المخصص لزوجته فاطنة عبد الغفار، وأوراقا أخرى .. ويقول الأبنودى: "اعتبرت كأني لم أكتبه، وحاولت نسيان الأمر فلم أفلح، وذات ضحى يوم شتائي، هتف بي حراجي لأكتبه، فاندلعت الرسائل متتابعة بِكَرا، كأنني لم أكتبها من قبل .. أنجزته خلال أسبوع، ودفعت به إلى المطبعة من دون مراجعة، كأنه تحد لمن اغتصبوا حراجي الأول".

في السجن اكتشف أن "الشيوعية ليست طريقا لتحقيق الذات أو تقديم خير إلى الفقراء"، وجاءت النكسة ليرى كل الأحلام تنهار .. كتب وقتها أغنيات وطنية لعبد الحليم حافظ .. خرج إلى الجبهة يكتب ديوانه "وجوه على الشط". وفي تلك المرحلة وفر له إعجاب الرئيس عبد الناصر بأعماله حماية من بطش "زوار الفجر". بعد انقلاب السادات بدأ التضييق الأمني على الأبنودي الذى رفض "أمن الدولة" سفره إلى تونس ليستكمل مشروعه في جمع الهلالية .. أتصل به أحد الضباط يفاوضه على السفر مقابل "كتابة تقارير عن زملائه"، فرفض .. وكانت أكثر ذكرى تزعجه من تلك الفترة "شائعات الرفاق الثوريين" حوله.

استطاع الأبنودي الخروج من مصر بعدما يئس الأمن منه .. واختار الشاعر لندن منفى اختياريا لثلاث سنوات، أنهاها عبد الحليم مستخدما "سلطته" في السماح له بالدخول إلى مصر. اعتقد السادات أن الأبنودي سيكون صوته، فأعلن رغبته في تعيينه "وزيرا للثقافة الشعبية" .. لكن اتفاقية "كامب دايفيد" ألهمت الشاعر قصيدته الشهيرة "المشروع والممنوع"، وهي أقسى نقد وجه إلى نظام السادات .. وبسبب هذا الديوان جرى التحقيق مع الأبنودي أمام المدعي العام الاشتراكي بموجب قانون سمي "حماية القيم من العيب.

وكان هذا جزء من قصيدة (المشروع والممنوع)

من بوابات العالم التلت بتخرج مصر

تخرج كما خرجت مثيلاتها

بتلم تركتها...وترمى فكرتها...وتطفى ثورتها

وتقطع الاوراق وبتواريخها بتجاربها بحكمتها

تقطع الاوراق برمتها وتقيد فى السنوات كلتها

تتدفى فى نورها وولعتها

ويميل نخيل ..ويئن نهر النيل

وتنهر الكنال ميتها وميتها

وتدارى عورتها

ويئن عمى "ابو العيون"ا

يئن حيران العيون

موحش فراغ قلبه... وسكناه الظنون

وف ظلمة اليل البهيم

ساعات بيطلع ع الكنال يهيم

ويقول لنفسه والبشر سكون:ا

)لا..يا ابراهيم يابو العيون

ولا دانات ولا نيران ولا حريق

ولا اتفتح فى قلونا طريق لسينا

ولا غزه ولا العريش

ولا يحزنون

ولا الشظايا فرتكت "احمد ابو الدقون")ا

اللى سمع فى الحرب ضحكة ابو العيون

يحس أناته على الشطآن

والارض قايمه تخون

اربع حروب هنا عشتها ..وعاشرتها

وحافضها طلقه طلقه وخندق خندق

قتيل ورا قتيل

طفف الشباب اللى اتقطف

واللى اتكسر واللى اندفن واللى اتخطف

طابور طويل طويل طويل

اطول من الافكار ..وبدن النيل

شبان فى عمر النور

اللى محمد..واللى عادل..واللى عبد النور

ولاد يجيبوا الشمس من وكر الاجل

حمام وما بطل زجل

فى طول ما حام البين علينا اوحجل)ا

ايه يا ابراهيم

استهدى بالله ان كيدها عظيم

اتغير الكزن القديم وانت كبرت

وما عادش حيل

وانت حبة فجل كام عود تيل

وتترمى تحت النخيل

ودى اسرائيل

ايه اسرائيل...؟-

ما حنا حاربنا اسرائيل

من يوم ما عشت وانا بحارب اسرائيل

مش ارضنا دى يا ابراهيم..؟

يبقى ما حا نحاربش ليه؟

عدوى زعبوبة خريف

شيل الرمال فى الطريق ...كيف

ينفخ

يهردم المدن

ويمد ايده يمحى ريف

مش انت شفته يابراهيم...؟

مش كان لئيم؟

هل –فى يوم–باين عليه حيستقيم؟؟

مش ده اللى عجن الارض دم

وسكت الغيط والنبات..؟

هججنا فى البلدان عرايا حفايا

نروى بذور الدم بالدمعات

والوقتى يابوعيون قلبوا الآيه

عاوزيننى افهم كان غبى اللى مات

ان كان غبى

ابقى انا الغبى

دى حربنا فى شرف حروب النبى

واسرائيل

ما ناقصش غير تندار تهف النيل

لكن.. تمهل يابراهيم

مش ربما قولهم سليم..؟

ابدا يا بوى

هوه احنا كنا بدينا بالعدوان ؟

ع الارض ولا بدينا بالحروب؟

هوه الكنال عايش كده

يوم يبقى متعمر و يوم مخروب

المان وايشى انجليز

وما يلاقوش غيرنا يحاربوا ف سماه

ضاقت عليم السماه

ويقول الأبنودي بلهجتة الصعيدية الحادة: "في حياتي أخطاء بالغة القسوة، ندمت عليها .. لكن فى الشعر لم أندم على شيء .. لأن الشعر مقدس، لا يأتي بقرار، هو هبة من الله" .. ويتذكر: "عندما كتبت قصيدتي الطويلة {الاستعمار العربي} ضد غزو العراق للكويت، اتهموني بالنفعية والانتهازية .. وللأسف، كل ما قلته في القصيدة تحقق فيما بعد."

الأبنودى وهزيمة ١٩٦٧

الهزيمة صنعته:

ويستعيد الأبنودى ذكريات هزيمة ١٩٦٧ فيقول: ربما كنت مدينا للنكسة بارتفاع الصوت والتحليق في أجواء الإعلام الرسمي بعد أن كنت شبه مستبعد ومريب ويتحاشاني الجميع خاصة أنني كنت قد غادرت أصدقائي من جيل الستينيات المعتقل السياسي في طرة ولذلك وجدتها فرصة للسفر إلي الصعيد والبدء في جمع السيرة الهلالية وقد خرجنا من الاعتقال في أبريل وبعد أقل من شهر حدثت تلك الواقعة التي أبهجت كل أعداء عبد الناصر في الداخل والخارج.

رفضت المباحث العامة أن تسمح لي بكتابة تلك الأغنيات والمشاركة في الحرب ولو بكلمة .. ويحكى الأستاذ أحمد سعيد أنه كافح كثيرا مع المباحث العامة وقال لهم إنه لا يستطيع أن يخوض حربه الإعلامية دون صوت الأبنودي الذي يمثل له المدفعية الثقيلة في جيش الإعلام .. كنت في أبنود قريتي في الصعيد للبدء في جمع السيرة الهلالية حين جاء ذلك التليفون الذي أربك أبنود بحالها إذ لم يكن هناك سوي تليفون الوحدة المجمعة وتليفون نقطة البوليس وتليفون العمدة ولذلك فوجئت بأبناء القرية يهرولون: الحق يا عبدالرحمن تلافون من الإذاعة، أحمد سعيد وعبدالحليم حافظ ووجدى الحكيم.

وتشاجر معي أحمد سعيد مقنعا أياي أن البلد ستدخل حربا فماذا تفعل هناك؟ أجبته: استريح من فترة الاعتقال غير المبررة وأحاول نسيانها حتي لو حاربت مصر فهذا ليس معناه أننا الذين سنحارب إذ كيف أدافع عن النظام وآثار البرش مازالت في اجنابنا؟ فتحدث عبدالحليم متوسلا ومعنفا قائلا: إذن كيف أتخذ مثل هذا الموقف في مثل هذا الظرف؟ وفي الواقع فإنني لم أكن واثقا أن مصر سوف تدخل معركة حقيقية ضد إسرائيل وربما كان الكثيرون مثلي إلا أنه لم يكن ثمة مخرج أمامي سوي الانغماس في هذه التوريطة.

هكذا عدت بالقطار وأثناء الرحلة التي تزيد علي اثنتي عشرة ساعة في ذلك الوقت كتبت تلك الأغنيات التي صارت أغنيات الحرب فيما بعد وبمجرد وصولي التقيت بالأستاذ كمال الطويل كنت أقيم في بيته طوال النهار وأعود إلي بيتي ليلا وهكذا طوال الأيام التي سبقت المعركة .. وأذكر أنني كنت والأستاذ مجدي العمروسي نمر من أمام الاستوديو الصغير الذي كان الأستاذ سعيد يطلق منه قنابله في اليوم الثالث من الحرب تقريبا وقد انتفخت صدورنا بهواء النصر وبيانات طائرات العدو المحترقة تملأ الدنيا والشوارع لا تنام ولا تهدأ ليل نهار وحالة من الزهو الوطني في كل البيوت ولقد أحب الناس بعضهم البعض، وإذا بنا نري وجه الاستاذ أحمد سعيد أصفر وعيناه في رأسه كأنه يرتدي قناعا مطاطيا لوجه آخر وسأله العمروسي عن آخر الأخبار وكأنه لم ير ملامح وجهه فلم يستطع الإجابة ومد يديه المبسوطتين في يأس شديد أرعبتني .. فسأله العمروسي: يعني إيه؟ أجاب سعيد: أمر الله، وسرنا نحو الاستوديو الذي كان عبد الحليم

مازال مع الفرقة الموسيقية يجود أغانيه وسيقاننا لا تقوي علي حملنا .. فأشار العمروسى إلي عبد الحليم من خارج زجاج الاستوديو فجاء غاضبا إذ لم يكن يحب أن يقاطع عمله أحد وسأل ساخطا في إيه يا مجدي؟ أجاب العمروسي إحنا انهزمنا في الحرب.

بدأ الناس في الشوارع ينظرون كل في عيون الآخر في دهشة وعجب وأظنها لحظات لم تمر علي مصر من قبل أو من بعد تشبه كثيرا تلك الدهشة التي علت وجوه المُصريين حين سافر السادات إلي القدس أنها لحظات اندهاش كان يجب أن تسجل .. أنطويت علي نفسي بعيدا عن الخلق إلي أن هاتفني عبدالحليم لأستمع إلي بيان الرئيس عبد الناصر وتعليقه علي ما حدث وكانت مصر بأكملها تسب وتشتم وتلصق التهم بكل القيادة من عبد الناصر إلي أصغر جندي لدرجة أن الجنود والضباط كانوا يعاملون أسوأ معاملة في الشارع المصري في تلك الفترة. كنا في منزل عبد الحليم مجموعة من أصحابه منهم الأستاذ أحمد رجب الصحفي المعروف وبليغ حمدي ومفيد فوزي ومجدي العمروسي وأنا ثم دخل كمال الطويل وكان الجميع يشتم ويسب ويتساءل ماذا سيقول وهل لديه عين لمواجهة الشعب بالكارثة وإذا بعبد الناصر يطل بتلك الصورة التعسة حزينا محطما ويعلن تنحيه وإذ بدموعنا جميعا تنهمر وكأننا كنا ننتظر منه أن يكذب ما حدث وأن كل ذلك تمثيلية للتمويه ولكن اعترافه بالهزيمة كان جليا.

نزلنا إلي الشارع وركبنا العربة مع عبدالحليم متجهين إلي كوبري القبة، واندفعت السيارة في شوارع خالية تماما وبعد أن عبرنا نفق العباسية لا ندري من أين جاء طوفان البشر، مشهد رهيب لنصبح نقطة في

بحر وليتهددنا هذا الطوفان بالاكتساح وقد وارانا الكثيرون إلا أنهم لم يعيرونا أي اهتمام رغم أنهم تعرفوا علي عبد الحليم حافظ ثم بدأت تتوحد الهتافات وتلتحم الأجساد ولم يعد في القاهرة أسفلت وإنما بشر يغطون مساحة الشوارع جميعا.

بعد فترة هاتفني عبد الحليم وسألني هل سنظل هكذا وهل ستظل مصر بدون أغنية تسجل اللحظة؟ أجبته: لن يستمع الناس إلي أغنية تعترف بالهزيمة ولن يسمح لنا النظام بأن نغني هزيمته، قال ساخرا انت مناضل وذهبت إلي السجن وحين أحتاج إليك في قطعة نضال لا أجدك يا أخي نصنع الأغنية ثم نناضل .. أجبته: هذه هي الأغنية وقرأت عليه موال النهار فصمت بعمق ثم أدار قرص التليفون طالبا من بليغ حمدي أن يحضر في الحال وهكذا ولدت عدي النهار التي وزعها الراحل عبدالحليم نويرة، وكانت الأغنية تعترف بنزول الليل وتبشر بنهار ولأول مرة يحس الشعب المصري أن ثمة أملا في الغد ولعبت الأغنية دورا مهما في إعادة الانتعاش الوطني للروح المصرية ومن ثم الروح العربية أيضا لأنني كل ما نزلت إلي بلد يقولون يكفي علي الأبنودي إنه كتب موال النهار في تلك اللحظة.

وقد كانوا جميعا خائفين من عبد الناصر بسبب هذه الأغنية ومن عجيب الأمر أن الأغنية حين كانت تختفي من الراديو كان عبد الناصر يتصل ويسأل عنها .. وبعدها مباشرة سافرت إلي السويس وأقمت مع الفلاحين من الأقارب والأصدقاء هناك في جناين السويس في مواجهة مع العلم الإسرائيلي علي الضفة الأخري وهي لحظة لا تغيب عن عيني وأنا أري الإسرائيليين وأسمع شتائمهم لنا وجلست إلي فتحية أبوزعزوع وعم

إبراهيم أبوالعيون وأم علي وعم محمد عبد المولي وأنا أستمع إلي قصص الجنود الذين عادوا من سيناء مهلهلين بثياب تنكرية وأقدامهم منتفخة من المشي الطويل وكيف كان الفلاحون يصنعون الماء بالملح لكي يضعوا أقدامهم فيها ويدقون البصل ليدهنوا به أقدامهم لتخفيف الورم. وكيف كانوا يطمئنونهم لدرجة أن بعض الجنود كانت تأتيه حالات فزع مفاجئة ويصرخ ويجري في الحقول وكانت القنابل مازالت تتساقط عليهم من الجانب الإسرائيلي.

هذه القصص لا يمكن أن أنساها علي الإطلاق .. فيما بعد طلبوا من هؤلاء الناس الهجرة مع بداية حرب الاستنزاف وهي الحرب الرائعة العظيمة التي لم تأخذ حقها من التكريم والتبجيل لجنودها وبطولتهم الحقيقية هذا إلي جانب منظمة سيناء الثورية التي تكونت من شباب مدينة السويس والذين كانوا يعبرون القناة ويعملون عملياتهم الثورية الفدائية .. أصر كثير من الفلاحين على البقاء ومساعدة الجنود ورأيت عودة الجنود مرة أخري وإعادة بناء الجيش وحفر الخنادق في التلال الرملية المواجهة للعدو الإسرائيلي علي شاطئ القناة .. ولم أستطع الفرار وكنت أعود قليلا إلي القاهرة لاستكمال تسجيل السيرة الهلالية، وتأليف أغنيات لعبد الحليم مثل "المسيح" وأيضا كتبت لعبدالحليم "يا بلدنا لا تنامي" و"من قلب المواكب" .. كما كنت أقيم في ذلك الوقت أمسيات شعرية وغنائية.

بدأت بعد ذلك في كتابة أغنيات مثل "يا بيوت السويس يا بيوت مدينتي" وألتحم بفرقة ولاد الأرض في السويس والتي كونها الكابتن غزالي بكل شباب المقاومة من البمبوطية والعمال وغيرهم .. لذا أعتبر أن تجربة

السويس هي أفضل ما عشت في حياتي بعد تجربة أبنود والسد العالي والاعتقال والحرب.

نهاية أقول أنا عاشق لمصر الحقيقية وليست مصر الثقافية، مصر التجربة وليست مصر الوهم والتخيل.. ومن أجل ذلك تجدني شيئا مختلفا تماما عن الإخوة المثقفين، أنا لا أنكر دورهم لأنهم أساتذتنا وهم الذين تربت بهم عقولنا ووجداننا ولكن الخبرة الحياتية هي أم الثقافة والعلم وأنا واحد من الناس تعلمت علي يد مصر نفسها في أكثر من مكان وفي أكثر من موقع.

الأبنودى والمثقفون ونكسة ١٩٦٧

أبوغازي: هزيمة يونيو كانت هزيمة لأحلام الناس ومشروعهم الوهمي فأخرجت طاقات إبداعية عالية

صبحى موسى: نكسة يونيو هزيمة لجماعة ثقافية غرقت فى انتهازيتها

الأبنودي: المثقفون يشمئزون من "تلويث قمصانهم" في زحام الجماهير

يسري عبدالله: نكسة ٦٧ تركت أثرا عميقا في مجرى الكتابة المصرية الاديبة سهام ذهنى: جيل عصفت به الهزيمة وجيل يواصل الكفاح لتحقيق العدالة

شعبان يوسف: المثقفون عقب هزيمة يونيو انخرطوا مع الشارع

أحمد الخميسى:هزيمة يونيو وضعت حجر الأساس لهزيمة ثقافة التحرر

أكد الدكتور عماد أبو غازي وزير الثقافة الأسبق أن هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ كانت هزيمة عسكرية، واستنفرت الطاقات الثقافية في المجتمع، وفي أعقاب الهزيمة ظهرت تيارات مستقله للثقافة المصرية بين أجيال من المبدعين الشباب في ذلك الوقت، والذين أصبحوا أبرز القامات الثقافية والإبداعية في مصر في المرحلة التالية، مضيفاً أن الحالة الثقافية بدأت من بعد انقلاب يوليو ١٩٥٢ تظهر تشكيلات ثقافية مستقلة ومختلفة تعمل علي

بناء ثقافة جديدة ومختلفة عن ثقافة النظام في ذلك الوقت ،كما ظهرت ظواهر جديدة آنذاك مثل مجلة " جاليري" ١٩٦٨، جمعية كتاب الغد ،وغيرها، وظهرت مجموعات من المبدعين في السينما ،بالإضافة إلى حركة مسرحية قوية لمواجهة الهزيمة التي وقعت.

وأشار إلى أن نكسة ٥ يونيو كانت هزيمة لأحلام الناس ومشروعهم الوهمي، موضحا أن المثقفين كان يعيشون في وهم الانتصار وحلم العروبة ، لكنهم أفاقوا على هزيمة استفزت المبدعين وأخرجت منهم طاقات إبداعية ظلت موجودة حتى الآن، موضحاً أن الحالة الثقافية بعد نكسة ٥ يونيو مختلفة تماما عن الوضع الثقافي الآن، بعد ثورة أزالت رأس النظام وفتحت أفاقا جديده أمام المجتمع، منوها إلى أن الثورة لم تكتمل حتى الآن ولم تحقق أهدافها ، وهناك حالة ثورية حديثة في المجتمع من ٢٠١١ ومازالت آثارها موجودة، ومهما حاولت قوى مختلفة أن تقضي على هذه الحالة الثورية لن تستطيع، مؤكداً أن الحالة الثورية مرتبطة بحالة إبداعية ، والثورة جاءت نتيجة حراك ثقافي قبل سنوات من الثورة ولا مجال للمقارنة بين الوضع الحالي والوضع الذى كان سائدا قبل وبعد ٥ يونيو.

أما الشاعر الكبير عبدالرحمن الأبنودي أكد أننا نكتشف دائما في المآزق الوطنية الكبرى أن المثقفين يتكئون على "عكاز من قطن" سرعان ما لا يصمد أمام المهازل الوطنية الكبرى، تجسد هذا بصورة لا مثيل لها بعد النكسة مباشرة، موضحا أن الجميع وقعوا في هوة اليأس ، واعتبروا أنهم المسئولون عن هذه الكارثة.

وأضاف الأبنودي أننا كنا نلتقي يوميا بعد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ونتناقش في أحوال البلد بسرية طبعا، في ظل النظام الناصري " البوليسي" ، ونفرغ ما في جعبتنا من انتقادات ومؤاخذات ونعتبر أننا ناضلنا، وشاركنا ونعود الى بيوتنا سعداء، مشيراً إلى أنه حين حدثت نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ حدثت الفاجعة في الوسط الثقافي كأنهم لم يكونوا يتوقعون الهزيمة، وهذا الأمر نفسه الذي يحصل الآن بعد ثورة ٢٥ يناير التي سرقت منهم.

وقال الأبنودي إننا المثقفين مازلنا أفرادا لا يجمعنا إطار، ولذلك فإن أصغر مجموعه منظمة ، سواء كانت من الدولة ،أو من أي اتجاه آخر تستطيع أن توقعنا في هوة اليأس، موضحا أن المثقفين في ١٩٦٧ كانوا يائسين واعتبروا أن الهزيمة نهاية العالم، والآن على الرغم من أن حماس الثورة بث بعضا من المقاومة في عروق المثقفين فإنهم يدورون حول أنفسهم، مؤكداً أن الوضع لم يختلف عن ١٩٦٧ رغم أنهم فى ثورة يناير شاركوا فى الحلم، أما في النكسة فلم يأخذ أحد برأيهم ، والنظام العسكري هو الذي قادهم إلى النكسة، وإلى هزيمة لم يرتكبوها ومع ذلك ظلوا يحملون وزرها.

وأوضح الأبنودي أنه خلال تلك الفترة قدم مجموعة من القصائد التي اعتبرها المثقفون خارج السرب مثل "عدى النهار ، يا بيوت السويس " وهذه القصائد كانت تثير العجب لدى المثقفين الذين لم يكتشفوا قيمتها إلا في وقت قريب، مشيراً إلى أن الثورة التي شارك فيها المثقفون بعاطفه كبيرة وبجهد لا ينكر، سرقها منهم مجموعة من الجماعات المنظمة التي أخذت كل شيء في الدولة ، منوها إلى أن المثقفين الآن في نفس الحيرة

والإحساس بالعجز الذي وقعوا فيه من قبل ، والآن ينتظرون معجزة –في زمن انتهت فيه المعجزات– لتطيح بما اختطف الثورة، قائلاً معبرا عن رأيه: "إن الثورة "عمل يدوي دائما" والمثقفون يشمئزون من فكرة " تلويث قمصانهم " في زحام الجماهير،وليس أمامهم سوى الانخراط في العمل الجماهيري ولا أعني بذلك أن يصبحوا أفرادا في حزب أو تنظيم وإنما أن ينزلوا الى الشارع ويشاركوا الجماهير."

فيما ترى الروائية سهام ذهنى ان من اثار هزيمة يونيو انها جعلت جيلا من الأدباء عصفت بهم الهزيمة إلى درجة أن بعضهم واصل الإحباط حتى في عز ساعات الإنتصار خلال أكتوبر ١٩٧٣، بل إن البعض الآخر منهم قد استمر في حالة يمكن أن نطلق عليها تعبير أنهم قد احترفوا اليأس والغموض إلى درجة جعلت الكثير من القراء يهربون من القراءة. وتقول ذهني ان الهزيمة العسكرية في يونيو ١٩٦٧، التى كانت صدمة للوجدان العربى باعتبارها مرحلة متميزة من مراحل الصراع العربي – الإسرائيلي، وظهر ذلك واضحا فى الكثير من القصائد التى ترفض الهزيمة وتتغنى بالمجد العربى القديم وتبث الامل حتى جاء نصر اكتوبر وواصلت مرحلة النقد بين المثقفين العرب ما بين، مؤكدة أن الشخصية العربية تزخر بالكثير من الإيجابيات التي هي ميراث الأجداد المتعاقبة بنضال ثورى وثقافى واجتماعى وعسكرى يناضل بشرف ضد اى عدوان وان اى انسكار لابد له من اعتدال وعودة الى الحق للحفاظ على التراب الوطني، هذه الأجيال تمارس الى الان الكفاح والمواجهة ضد الفاسدين بتجمع جموع الشعب من كل الفئات وليس المثقفين فقط لتحقيق العدالة الاجتماعية

للجماهير وهو الذى جعل الناس تخرج فى يناير عام ٢٠١١ وتواصل الكفاح لتحقيق تلك العدالة الاجتماعية التى من اهم اهداف الثورة ونعتمد تتحقق تلك العدالة سيكون للثقافة شأن كبير.

وقال الروائى والكاتب صبحى موسى إن هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ كانت هزيمة للوعي الجمعي، فرغم أنها على المستوى العسكري لا تمثل الكثير إلا أنها بالنسبة لدرجة الإيمان بهذا الحلم كانت بمثابة القنبلة التي نسفته من جذوره، مضيفاً: ظل المتشبثون به كجماعات مشعوذة لا تعرف كيف تعود إلى ماضيها القومي ولا كيف تعود إلى أحلامهما المغدورة، ومن يومها والوعي العربي في حالة من الاهتزاز التي حولته من طوباوية عظيمة إلى انتهازية مفرطة، وكان المثقفون بوصفهم جماعات هامشية ملحقة على ضفاف السلطة من أكثر الجماعات التي انتبهت إلى ذلك، فغرقت في انتهازيتها التي أفقدتها القيمة والاعتبار.

وأكد موسى أنه لم يعد لدينا مثقفون بقدر ما أصبح لدينا متربحين من الثقافة، وخدم أصلاء للسلطة في جانب وحين، وانتهت إلى وقتنا هذا فكرة المثقف المستقل، بل إنهم بحكم انزوائهم تحت ظلال السلطة راحوا يعاقبون كل من يفكر في الخروج عليها، وكل من يسعى إلى إيجاد موارد رزق بعيدا عنها، ولنا أن نتصور معاناة رجل كصنع الله إبراهيم حين رفض جائزة الرواية، وكيف تحول إلى كائن لا ينبغى الاقتراب منه، بل إن بعضهم راح يفسر أن ما صنعه صنع الله ليس إلا محاولة لزيادة سعره في الفضائيات والترجمة وغيرها.

وتابع موسى لنا أن نتصور أن شاعرا بقدر عفيفي مطر الذي سعى لأن يكون مختلفا كيف تم التعامل معه حتى أصبح أصاغر الناس من خدم السلطة هم المقربون لديه، هؤلاء كانوا يمثلون نوعا من الارهاب له، كان يخشى منهم ويتبرع بتلبية طلباتهم، هذه الانتهازية التي أصابت الجميع لم تخلق لدينا قامات ولا مرجعيات، وخلقت أسماء مصحوبة بتشوهات لاحصر لها، كل ذلك كان مفرحا للسلطة التي انهزمت عسكريا لكنها ظلت قوية مركزيا، قوية في شكلها الأمني والمخابراتي واستذلالها للبشر، هؤلاء الذين تخلوا عن كونهم مرجعيات فكرية وثقافية يصدقها الناس ويؤمنون بكل ما تفعل، وتحولوا إلى مجموعات من الرعاع الباحثين عن سبوبة أو فضلة خير أو بقايا موائد.

ونوه موسى إلى أنه وللأسف الشديد فإن ثورة يناير أطاحت بالنظام لكنها لم تستطع أن تطيح بهذه الأمراض من النفوس، ومن ثم فمع استبدال السلطة بسلطة جديدة انقسم الجميع إما رافض لأنه فقد شيئا ما، أو خانع متوار كي لا يفقد شيئا ما، أو مرحب مهلل لأنه يريد شيئا ما، وهؤلاء جميعا مرضى لا علاج لهم سوى أن يظلوا خدما، وجميعهم يحملون قسوة لانظير لها، فبإمكانهم قتل أعز الناس عليهم إذا كان مختلفا عنهم، أو أن وجوده سيفقدهم شيئا ما، والقتل لديهم أهون بكثير من رفع أعينهم في وجه أسيادهم.

قال الأديب سمير الفيل إن الهزيمة المدوية لمصر في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ كانت محاولة لهزيمة المشروع القومي العروبي في مصر الصاعدة بقوة باتجاه تجربة مختلفة وتطبيق نوعي للاشتراكية،

مضيفاً أن دول الغرب تكتلت وكانت أمريكا رأس حربة لإجهاض هذا المشروع والقضاء على تجربة التنمية والتصنيع وبناء دولة عصرية حديثة لصالح المشروع الصهيوني . لذا سيلاحظ المراقبون تراجع المشروع الوطني ونهوض الدعاوى الدينية والأصولية.

وأشار الفيل إلى أن حرب يونيو ٦٧ كانت صدمة للمصريين والعرب جميعا . وما حدث هو نفسه ولكن مع الفارق مع ضرب محمد علي من خلال معاهدة لندن ١٨٤٠ لتحجيمه. وتابع: بلا شك تأثرت الثقافة المصرية لكنها في رأيي لم تفقد البوصلة فقد بدأ بناء جدار ثقافي عنيد ينهض على فكرة المقاومة في بورسعيد والسويس وفيالاسماعيلية وتحولت الثقافة لدعم تطلع المصريين للتخلص من الهزيمة. في هذا الوقت لم تطفأ أنوار المسارح ولا دور السينما ولا كفت فرق الفن الشعبي عن ممارسة نشاطها بل تولدت ثقافة بنت الشارع كما في فرق السمسمية وأولاد الأرض وأولاد البحر وشخصيا شاركت في أمسيات شعرية في مختلف القرى والنجوع (خلال حرب الاستنزاف ١٩٦٩ ١٩٧٠) . انهزمت الآلة العسكرية ولم تنهزم الثقافة بل واصلت بسط جمالياتها وأفكارها.

وأشار الأديب سمير الفيل إلى أن المثقف في هذه المرحلة لعب دورا لا يقل أثرا عن دور المقاتل. وأرى ان المحنة التي يمر بها الوطن تحتاج إلى تضافر الجهود واجتراح آفاق غير مسبوقة من الفعل الثقافي في الشارع المصري. ونوه إلى أن هناك بلا شك محاولة تسعى إلى" تجهيل الشارع" واختطافه والعبث بخصوصيته لذا فالحرب الثقافية القادمة تتطلب وعيا وثقة بالنفس ونفس طويل واقتراب حثيث من المواطنين لدمجهم بالمشروع

الثقافي الأصيل للوطن : مسلميه وأقباطه وحتى اللادينيين. وأكد أنه يتصور أن ثمة تجارب طليعية مثل" الفن ميدان " و" الجرافيكي " و" تجارب السينما التسجيلية الشابة " و" الغناء الوطني الحر" تحتاج إلى الوقوف خلفها. وأن ثمة طموح لتحرير الثقافة المصرية من قبضة المؤسسة . وعلى ما أظن فإن هذا هو دور المثقف العضوي الذي لابد ان يصبح مثقفا عضويا بمفهوم جرامشي. وقال سمير الفيل : برغم وجود سحب من الكآبة واللاجدوى إلا أن الاستسلام تقترب من الخيانة. بالاساس الكتابة والفن يحتاج إلى طموح وبهجة وقوة ارادة وهذا ما أحاوله شخصيا بنشر ثلاث مجموعات قصصية رغم جو القنوط الذي يحيط بالوطن. وأكد الكاتب والشاعر شعبان يوسف أن هزيمة يونيو لم تكن هزيمة للمثقفين ، بل بالعكس كانت بمثابة استنهاض للطاقات والهمم والمشاعر والطاقات المختزنة أو المستترة، وكانت استنفارا لحماس الشعراء والمسرحيين والمفكرين، ومن يعود إلى أدبيات تلك الفترة سيجد أن أشعارا كثيرة كتبها مبدعون مصريون مثل عبد الرحمن الأبنودى وسيد حجاب ، رغم أنهم كانوا خارجين للتو من معتقلات الناصرية.

وتابع يوسف: كذلك كتب صلاح جاهين وفؤاد حداد ، وكان هناك تصميم وإصرار على تجاوز الهزيمة العسكرية إلى الانتصار الثقافى ، وهناك كتاب ومفكرون راحوا ليبحثوا فى تاريخ المصريين لاكتشاف مساحات مضيئة من التاريخ، مثل الدكتور لويس عوض، وأنشأت الدولة سلسلة تحت عنوان "فى المعركة" كتب فيها الدكتور غالى شكرى وميشيل كامل وخيرى عزيز ومكرم محمد احمد ومصطفى بهجت بدوى.

ونوه يوسف إلى أنه المجلات الثقافية كذلك أعدت ملفات وأعدادا كاملة عن ما حدث كانت الحياة الثقافية والمثقفون مجندين لخدمة اللحظة بكل انفعالاتها، وتحركت كل الطاقات نحو النصر، حتى الاحتجاجات والتمردات التى قادها مثقفون كانت تقف فى صف السلطة المهزومة، وتؤازرها من أجل هذا النصر المشهود ، والذى تحقق قدرا منه فى اكتوبر ١٩٧٣، وكانت بوادره فى حرب الاستنزاف ، وهناك كتاب للدكتور أحمد حجى يتحدث فيه عن موقف المثقفين تجاه مايحدث، وبذلك كان المثقفون كسروا حواجز العزلة وانخرطوا بشكل كبير مع الشارع وظهر تأثيراتهم العديدة فى السينما والمسرح والشعر.

أكد الكاتب الكبير أحمد الخميسى أن هزيمة يونيو ٦٧ وضعت حجر الأساس لهزيمة ثقافة التحرر والبناء ومعاداة الاستعمار، فعندما ينهار نظام سياسي يدعو لتلك القيم وتصبح صحة تلك القيم موضع شكوك فكرية وتساؤلات عميقة، موضحاً: شهدنا ذلك مع انهيار وزوال الاتحاد السوفيتي الأمر الذي جعل الثقافة الاشتراكية موضع شكوك. وأضاف الخميس أنه بالرغم من أن انهيار النظم أو تلقيها ضربة موجعة يضع حجر الأساس لهزيمة الثقافة التي كانت تدعمها إلا أنه من الصعوبة بمكان القول بأن تلك الثقافة قد هزمت أو القول بأن هزيمة ٦٧ كانت هزيمة للثقافة المصرية، ذلك أن القيم الصحيحة تواصل حياتها وقد صانت الثقافة المصرية كل القيم الإنسانية والفكرية السليمة واستمرت بها وإن كان ذلك بصورة ضعيفة.

وأوضح الخميسى أنه بالنسبة للمثقف نعم كان له دور دائما. لكنه دائما كان دورا محدودا بحدود تأثير الثقافة ذاتها في مجتمع نصفه يعاني من الأمية الأبجدية، والغالبية تعاني من أمية ثقافية. في ظروف كتلك يصعب القول بأنه كان للمثقف تأثير كبير. لكن كان له تأثير ودور من دون شك حتى لو كان محدودا، مشيراً إلى أن المطلوب من المثقف حاليا أن يصبح مواطنا بالدرجة الأولى. في الحروب يتحول المثقفون إلي مقاتلين ومحاربين، يشاركون فيها ليس بصفتهم أدباء بل بصفتهم مواطنين مقاتلين.

وتابع الخميسي قائلا: في الظروف التي تمر بها مصر يجب أن يغدو المثقف مواطنا أولا، ينزل إلي الشارع ويشارك في بناء الوعي بين الناس، ويشارك في بلورة المفاهيم السياسية، وتحديد الاتجاه العام للوطن . لكن هذا كله عبء كبير على مثقف اعتاد أن تقتصر علاقته بالثقافة على الإبداع بالكلمة والريشة والنغمة والقصيدة . لكن المواطنة وتحمل عبء هموم الوطن هي دور المثقف الآن.

فيما يرى الناقد يسري عبدالله أن نكسة ٦٧ ربما قد تكون أثرت تأثيرا عميقا في مجرى الكتابة المصرية، والعربية، وبما يمكننا من القول إن هزيمة يونيو لم تكن محض هزيمة مادية، ولكنها كانت تعبيراً عن تداعي الحلم الناصري آنذاك، وإشارة دالة على اتساع الفجوة بين الشعار، والممارسة، ورغبة قوى الاستعمار العالمي متحالفة مع القوى الرجعية في قنص التجربة الوطنية المصرية في الستينيات، والقضاء على فكرة الاستقلال الوطني والتحرر التي انتهجها جمال عبدالناصر.

وأضاف يسري أنه ربما كان الصدى الأوسع متمثلا في عدد من الأعمال الأدبية شعرا وسردا، والتي يمكن تلمس ملامحها في أعمال أمل دنقل الشعرية وتحديدا في ديوانه: "تعليق على ما حدث"، فضلا عن الديوان الشهير لنزار قباني :" هوامش على دفتر النكسة"، وفي المسار السردي عبرت الرواية المصرية جماليا عن النكسة وأجوائها، وتأثيراتها في البنية النفسية للشخوص، وشيوع مناخ من التشظي والاغتراب من جهة، والرغبة في المقاومة من جهة ثانية، مشيراً إلى أنه ربما بلورت روايات جيل الستينيات في مصر هذا المنحى بصورة بارزة تجلت في روايات صنع الله إبراهيم، وبهاء طاهر، وجمال الغيطاني، ومحمد البساطي، وجميل عطية إبراهيم، وغيرهم.

وتابع يسري أنه تجب الإشارة أيضا إلى أعمال نجيب محفوظ بوصفها مثلت إرهاصا بالنكسة من جهة، مثلما نلمح في روايتي:" ميرامار"، و" ثرثرة فوق النيل"، أو الأعمال التي عبرت عن مأزق المجتمع المصري، وشخوصه الحائرين في "تحت المظلة"، و"الحب تحت المطر"، مؤكداً سؤال الحرية ومساءلة الاستبداد"، أن الهزيمة أبرزت الوظيفة الاجتماعية للأدب، وبات النص الأدبي سلاحا في المعركة ضد العدو الصهيوني، ورأينا أعمالا مسرحية مصرية وعربية رفيعة المستوى، مثل نصوص محمود دياب الدرامية، وتحديدا مسرحيته "باب الفتوح"، وكذلك مسرحية المبدع السوري سعدالله ونوس "حفلة سمر من أجل ٥ حزيران ."

الأبنودى ومذكراته فى المعتقل

جرت العادة ان يكتب المعتقل السياسي مذكراته، لتكون شهادة على سنوات عاشها، شهادة على تجربته الذاتية وخصوصيتها من ناحية، وشهادة على عصره تحمل طابع الإدانة غالباً من ناحية ثانية.

الكاتبة والمخرجة السينمائية عطيات الابنودي تقدم هنا تجربة مغايرة، فهي تدلي بشهادتها على شهور اعتقال زوجها الشاعر عبد الرحمن الأبنودي في الستينات، في الفترة من تشرين الاول اكتوبر ١٩٦٦ وحتى آذار مارس ١٩٦٧، بتهمة الشيوعية، وهي التهمة التي كانت رائجة، آنذاك، للزج بالخصوم السياسيين في السجون، على الرغم من انتهاج الدولة خطاً اشتراكياً، وعلاقاتها الحميمة مع دول المعسكر الشيوعي وخصوصاً الاتحاد السوفياتي.

تبدأ عطيات بما قبل علاقتها بزوجها الشاعر عبدالرحمن الابنودي بقليل، فترسم صورة سريعة لأسرتها وطبقتها، فهي أصغر بنات عائلة تضم اربع بنات وثلاثة أبناء، لم يتح لأي منهم أي تعليم ثانوي سواها، الأم تعمل "خياطة"، أما الأب فبلا مهنة تقريباً، او بالأدق، هو يتنقل بين المهن بحثاً عن الرزق وخصوصاً بعدما باع - بسبب الحاجة - نصيبه من محل مني فاتورة الذي وصل اليه بالميراث. وكان انتقالها من بلدتها السنبلاوين شرقية الى القاهرة بدافع الدراسة، إذ التحقت بكلية الحقوق، وكان عليها أن تعمل كي تنفق على دراستها، فعملت في مهن مختلفة، بدءاً من عاملة بالسكك الحديد الى موظفة في المسرح. وفي هذه الفترة تزوجت من الفنان

التشكيلي ومهندس الديكور مصطفى كامل، وقتها كان عمرها لا يتجاوز الثامنة عشرة، ويفشل الزواج بعد عشرة دامت ثلاث سنوات. وتنغمس في علاقة حب عنيفة سرعان ما تفشل هي الأخرى، بعد ان تزوج الطرف الآخر بسيدة تفوقها في كل شيء كما تعبّر.

في هذه الظروف العصيبة، بدأت علاقتها بزوجها الشاعر الذي لم تكن قد سمعت عنه بعدُ، إلا بطريقة عابرة من صديقة صحافية، حدثتها عن مصادرة "ديوان الارض والعيال" لشاعر جديد موهوب يكتب العامية اسمه عبدالرحمن الابنودي. وبسرعة، تمت العلاقة بين الاثنين. وقتذاك كان مطربو هذه المرحلة يغنون أشعار الابنودي التي تُسمع في الاذاعة: شادية ونجاة وشريفة فاضل، فضلاً عن أشهر أغنيات المطرب الشعبي محمد رشدي، ربما الى الآن ومنها: "تحت الشجر يا وهيبه" و"عدوية". لكن الأبنودي وقتها لم يكن بشهرة أغنياته ولا مطربيها، ولم تمضِ سوى أيام قلائل، حتى طلبها عبدالرحمن للزواج مشترطاً موافقة صديقه القاص الراحل يحيى الطاهر عبدالله.

"جاءني يحيى عند أمي في السيدة زينب لكي يعلن موافقته على زواجي من الأبنودي، قال: أريد أن أطلب يدك، اذا لم توافقي على زواجك من الأبنودي. قلت: أوافق على زواجي من الأبنودي. قال يحيى مطبطباً على كتفي: من الآن أنت اختي المحرمة عليّ".

والغريب، أن عطيات أصرت على إقصاء يحيى عن حياتها مع الأبنودي بعدما ظل مقيماً معهما لفترة طويلة بعد الزواج. تقول عطيات: "بعد عودتنا

الى القاهرة، بدأت الحياة تتأزم كثيراً بيني وبين يحيى لأسباب خاصة بفهم كل منا لمعنى الصداقة والبيت المستقر والسعي للعمل الدؤوب .. واستدعى هذا الخلاف تدخل الاصدقاء، ومطالبة عبدالرحمن أن يجد مكاناً آخر ليحيى لكي يعيش فيه، وقد كان، قرر يحيى ألا يعيش معنا في البيت نفسه".

والمعروف أن عبد الرحمن وعطيات لم ينجبا أولاداً، فتبنيا إبنة يحيى الطاهر عبدالله "اسماء"، وهي تعيش الآن مع عطيات بعدما تزوج الأبنودي من مذيعة التلفزيون نهال كمال، وأنجب منها "آية" و"منة الله".

تتلاحق الأحداث بعد ذلك بسرعة، ليلقى القبض على عبدالرحمن في تشرين الاول اكتوبر ١٩٦٦، ضمن عشرات من الكُتاب والصحافيين والشعراء والفنانين والموظفين، ولم يكن مرّ على زواجهما شهور قليلة.

وبعد اعتقال عبدالرحمن بأيام، بدأت عطيات في تسجيل يومياتها خارج السجن، وهي في معظمها رسائل الى زوجها المعتقل تحكي له فيها عما يجري خارج أسوار السجن. وعلى الرغم من عادية الرسائل وبساطتها، فإنها تكشف – وهو ما قصدت إليه صاحبتها – عن مواقف متباينة لأصدقاء، بلغ بعضهم أقصى درجات الوفاء، وتفاوتت حظوظ الآخرين بين السلبية والتردد والنذالة.

وهي حين تكتب عن الأصدقاء تتفاوت مشاعرها على هذا النحو: "جاء محمد عبد العظيم وكان يلبس قناع الحزن على وجهه، وكان أبوك موجوداً فأخذه كمال وطلع فوق، في المرة السابقة عندما زارني كان في حال سيئة جداً وحزين جداً ويدخن السجائر بشراهة ويكاد يبكي، قال يومها: "أنا بحب

عبدالرحمن. قلت له: بتحب عبدالرحمن ورغم كده انتظرت ١٥ يوماً لتسأل عني، إيه اللي عندك تخاف عليه، ايه اللي وراك يخوّف؟ .. أنا الناس من هذا النوع بيفلقوني والناس اللي يعاملوني على أني في مأساة بيغيظوني".

وحين بدأت رحلة البحث عن حل على أبواب المسؤولين، لم تصل أصوات وبرقيات زوجات المعتقلين الى بعضهم. وخشي آخرون أن يقابلوهم كي لا يتحملوا نتائج الوشايات اذا ما قرروا مقابلتهم، وهو ما فعله – بحسب ما تشير المؤلفة – محمد حسنين هيكل عندما كان رئيساً لتحرير "الاهرام"، وفتحي غانم حين كان رئيساً لتحرير "الجمهورية".

وتروي عطيات بالبساطة والتلقائية ذاتهما ما جرى عند مكتب فتحي غانم، تقول: "توجهنا الى فتحي غانم رئيس تحرير "الجمهورية". قالت السكرتيرة بابتسامة ملحوظة ان البرقيات وصلت لفتحي بك وهي على مكتبه، طلبنا مقابلته، دخلت السكرتيرة غرفته بعد أن كتبت اسمينا على ورقة صغيرة وخرجت بسرعة مكفهرة الوجه وقالت: فتحي بك مش ممكن يقابلكم. سألتها: يعني مش ممكن خالص والا دلوقت بس؟ قالت: مش ممكن خالص، قلت لها: المفروض أعرف ليه مش عاوز يقابلنا، ممكن يقول: إبعدوا عني انا مش قد الحاجات دي أو أنا مشغول النهاردة ويحدد لنا ميعاد تاني بعد شهر أو بعد سنة، لكن يقول مش ممكن اقابلكم خالص دي غريبة، أنا عارفه ان ما فيش حاجه في ايده، لكن المفروض يقابلنا ويعتذر لنا، يعمل أي حاجة، ردت السكرتيرة بخجل: اصل فتحي بيه لسه جديد في الدار ومش عارف حاجة".

على هذا النحو تمضي اليوميات، تصادفنا فيها عشرات الاسماء من شعراء وكتاب وفنانين كانوا آنذاك في بداية الطريق وصاروا اليوم ملء السمع والبصر. وهناك مناضلون آخرون جاهروا بعدائهم للسلطة ورفضهم توجهاتها الاستبدادية، التي قادت، في رأيهم، الى هزيمة حزيران يونيو ١٩٦٧، بعد ذلك بشهور قلائل. وثمة رسميون نظروا الى الثقافة والفنون بارتياب وصلف.

وكان بين هؤلاء جواسيس وعلماء وانتهازيون ومنافقون. ولعل سنوات الستينات الأولى، التي شهدت صعود الحلم القومي وتألق الكبرياء "الناصري" ثم انكساره المروع في حزيران ١٩٦٧، هي التي رسمت صورة المشهد الصحيح لهذه السنوات وما بعدها. وقد آثرت عطيات أن تنقل ذكرياتها ومشاعرها بطريقة اليوميات، منحازة بطبيعة الحال الى فنها الأثير كمخرجة تسجيلية. ولكن بوسعنا أن نميز تماماً بين ما عنيت ان يكون تسجيلاً محضاً بين يومياتها، وما طغى فيه الشخصي والذاتي، وهذا منطقي، فلا يمكن ان نطلب من زوجة تطل على زوجها خلف غلالات كثيفة من الأسْر والقيود، ان تبقى على الضفة الأخرى تمارس باختيارها ترف الحياد.

تناتيش من حياة الأبنودى

الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي: عبد الناصر سار في اتجاه معاكس وداس علي كل شيء ليخلد نفسه

نجم عبد الكريم نشر في روزاليوسف اليومية يوم ٣٠ - ٠٩ - ٢٠١١

لم تجد «روزاليوسف» من هدية تناسب ولاء قرائها لهذه المطبوعة، سوي نشر سلسلة من اللقاءات والحوارات النادرة التي لم تنشر من قبل مع كبار المفكرين والكتاب والأدباء والفنانين، أجراها الكاتب والإعلامي الكويتي الكبير الدكتور نجم عبدالكريم في فترات مختلفة علي مدي أربعة عقود.

التقيته أكثر من مرة وفي أكثر من بلد مرة أصطحبه لعدة أيام في الإمارات ومرة ألقاه في بيته بالقاهرة ومنذ سنتين زرته في مستشفي في باريس ونحن في تواصل دائم منذ ثلاثة عقود.. الصديق عبدالرحمن الأبنودي.. استطعت من خلال حواراتي معه هنا وهناك أن أقدمه لقراء «روزاليوسف» في هذا الحوار.. ونحن أمام عبدالرحمن الأبنودي لابد لحوارنا معه أن يتجه نحو طريقين الأول أبنود في الصعيد والثانيلندن ..ففي أي من هذين الطريقين نبدأ مسيرة الحوار

-هو يعني يا أبنود يا لندن..؟

أين القاهرة وأين هذا العالم الواسع الذي سافرت إليه؟

لأن في أبنود نبدأ مع الشاعر وفي لندن نبدأ مع الباحث؟
-ما الباحث والشاعر؟! كلاهما يخرج من عباءة المفكر أو الأديب.
إذا سنبدأ بلندن التي أقمت فيها لسنوات.. هل لنا أن نعرف السبب؟
-أولاً: صارت لندن بالنسبة لي أبسط من قريتي أبنود لأنني ذهبت فيها إلي أماكن لم يعتد العرب زيارتها.. والحقيقة أن فترة اغترابي بإنجلترا كانت مشتركة بينها وبين تونس حيث كنت أعد دراستي عن السيرة الهلالية..

وكان في تونس الأستاذ طاهر كيكة رحمه الله ومن خلال موقعه كوكيل لوزارة الثقافة التونسية وشاء القدر أن يكون والده ممن عملوا وخاضوا في السيرة الهلالية فتحمس للتعاون معي وسهل لي الكثير من الأشياء في معرفة تضاريس تونس وجغرافيتها وقراها الصغيرة وأطرافها البعيدة فكنت أقضي فيها أشهراً في الصيف لجمع المعلومات ثم أذهب إلي إنجلترا وكان لي هناك صديق يرعاني ويحدب علي هو الكاتب الكبير الطيب صالح وكنت موزعاً بين محبين وكلاهما يغير من الآخر كيكة يغير من الطيب ولندن والطيب يغير من كيكة وتونس وكنت أقضي بين هذين المكانين معظم أشهر السنة منغمساً من رأسي حتي أخمص قدمي بل غائصاً حتي شوشتي بالسيرة الهلالية التي أنجزت منها سبعة أجزاء ومازلت مستمراً فهي لا تنتهي وأستطيع أن أقول بكل فخر: إن دراستي لهذه السيرة تعد الأكثر اقتراباً من أحداثها الحقيقية بعد أن اختلطت فيها الكثير من المبالغات والخرافات التي خضعت مع مرور الزمن للخيال الشعبي.

ما بين لندن وتونس ألم يكن لباريس نصيب في هذه الرحلات؟
-بالطبع.. فلا غني لباحث مثلي عن الثقافة الفرنسية وعن مثقفي شمال

إفريقيا الذين تأثروا بزخم الفكر والثقافة الفرنسية فأصبح البعض منهم من عمالقة الأدب الفرنسي بينما هم من أصول عربية.

ألم تتأثر بتلك الثقافات وأنت هناك؟

-نعم.. وكتبت ديوانا هو «صمت الجرس» له نكهة مختلفة عن دواويني السابقة ربما لأنه لامس الحداثة أو ما يسمي بمدرسة الحداثة.

هل نضرب مثلاً ببعض أبيات من هذا الديوان؟

أشكو إليك يا فارسي المجيد

يا من علي جبلك بعيد مرتفع أو مستريح في ظل مهرك العنيد

يا مسلة الفرعون

تراب البيد

يا من علي أعلي ما في الدنيا

بتتسمع ميلاد البحر

وشمعة النور الوليد

- هل لقي هذا الديوان إقبالاً من القراء؟

- طبع أربع مرات والأربع طبعات نفدت.

هل كان يحتوي علي إسقاطات سياسية؟

-عندما نشر هذا الديوان تحايلت علي الرقابة الخارجية وعلي الرخصة من الأزهر مستغلاً سقف الحرية الشكلية لطباعة الكتب ربما كان من الممكن أن تكون علي بعض قصائده اعتراضات فيما لو نشرت في الصحف أو أذيعت في الراديو أو التليفزيون لكن نشره ككتاب لم يعرضه للقمع.

هل تعرضت بعض دواوينك الأخري للقمع؟

-طبعاً.. أنا حياتي كلها سلسلة من المعاناة في هذا والشاعر أو المبدع أو الكاتب بشكل عام الذي لا يعاني الاصطدام بهذه القوي القمعية أو جهات سلطانية متعسفة تمنعه يخيل إلي أن إبداعه يكون أشبه بماء البئر كلما تشرب منه تشعر بالعطش أو مثل ريم البحر يعني لا تصدقه بعينيك وتأتي تمسك به بيديك لا تجده.!

هل هناك قمعيون اعترضوا طريقك؟

-لو لم يكن هؤلاء موجودين لما ظهرنا نحن وقد عانيت منهم منذ الديوان الأول «الأرض والعيال» وظللت أكدح لأشهر وأشهر كي أخرجه من براثن الجهات الرقابية وقد فكرنا أنا وصلاح جاهين أن ننشئ داراً للنشر باسم «دار ابن عروس» علي اسم الشاعر الشعبي «أحمد بن عروس» وخططنا بأن تهتم هذه الدار بإصدار الدواوين التي تكتب بالعامية وبعد أن أصدرنا ثلاثة دواوين هي «الأرض والعيال» و«صياد وجنية» للسيد حجان فما كان منا إلا أن أقفلنا هذه الدار لأننا اكتشفنا أنا وصلاح جاهين أن الجري وراء الإجراءات الرقابية والقمعية والإجراءات البيروقراطية

لاستخراج نسخة لطباعة ديوان تجعلنا نمضي الأشهر وراء الأشهر وتكون النتيجة الإحباط تلو الإحباط.. ففشل المشروع.

هل ما يتعرض له الشاعر عبدالرحمن الأبنودي من قمع يكون له تأثير علي ولادة قصيدته.. بمعني أنك تضع في اعتبارك تلك المواجهات التي أدت إلي تلك الإحباطات مما يدفع بالقصيدة أن تتراجع ولو قليلاً أي تحني هامتها كي تجتاز العواصف؟

-إن أجمل ما في هذه الدنيا هو أن الإنسان يشعر أنه يصارع قوي حقيقية مرئية بالعين ملموسة باليد فيستعد لها بينما هناك قوي غير مرئية يخطط لها البعض ولا يواجه العدو الواضح الذي يكيل له الضربات وأنا كل ما عانيت من تلك الضربات كلما ارتفع صوتي معلناً موقفي وكل مواقفي الحقيقية ما تفجرت إلا في وجه عدو حقيقي يقف قبالتي من هنا فإن القصيدة لا تخرج متخاذلة أو تحني رأسها للعاصفة إنما تخرج لهدف محدد تسعي إلي تحقيقه ولذلك أنا لا أؤمن بالشاعر الذي لا يقول كلمة مسئولة كلمة هي أقرب ما تكون إلي الطلقة بل هي الرصاصة التي تتفجر في وجه الفساد فنحن جيل الستينيات تربينا علي هذا الواقع.

ماذا تقول في الأجيال التالية عليكم؟

-تجد الكثير منهم الآن كتاب رواية كتاب مسرح كتاب سينما فنانين تشكيليين ما يطرحونه من قضايا صارت تمنع من أن تعانق فيها مشاكل الناس البعض منهم رضخ ونسي أن الإبداع الملتزم هو جزء من التنفس لاستمرار الحياة.. يعني يتوحد المبدع خارج الورق وما بعد الورق.

ألاحظ أن عبدالرحمن الأبنودي مازال يصارع خارج الورق وما بعد الورق؟

-في الواقع أنا لم أعد أكتب يعني قضية التعنيف والمسك بالخناق قد جعلتني في حالة من التحدي الدائم لأن العدو في حالة مصالحة مع الحكومات، والحكومات نفسها في حالة مهادنة الدنيا كلها كالبركة الراكدة والحياة ليس لها طعم كبير وبالتالي تأثر إبداع نوعية المبدعين لا شك أن حالة فقدان الجدوي والطعم والمعني من الكتابة في الوقت الحاضر في مرحلة أقرب ما تكون إلي القرار المؤجل.. نمر في فترة تأمل فكما قال الشاعر ينطبق علي هذه الفترة: الشعر شارد في الجبل مني عملت أنا هجان ورحت وراه فتشبيه الشعر الهارب بالجبال والشاعر يجري وراه.. أنا أظن أننا في ظل الأوضاع العربية الحالية نعيش في مثل هذه الحالة.

كيف انتقل عبدالرحمن الأبنودي المواطن المصري ابن أعماق الصعيد من تصوير معاناته كمصري إلي الجريان خلف القصيدة الهاربة منه والتي يتناول فيها هموم الوطن العربي بأكمله؟

-الإجابة تجدها في ديوان صدر لي هو «الاستعمار العربي» أناقش فيه قصة العامل المصري وهجرته إلي العالم العربي وماذا وجد فيه؟.. أناقش فيه قضية فلاحينا المساكين الذين لم يكن يخطر علي بال الواحد منهم أن يبتعد عن قريته حتي لو انطبقت السماء علي الأرض وفيهم أناس لم يذهب الواحد منهم إلي المدينة التي تبتعد عن قريته بضعة أمتار لتعلقهم بقراهم ولتعلقهم بثقافتهم التي ظلوا يحافظون عليها منذ قرون وإذا بباب الهجرة يفتح علي مصراعيه حيث هناك من يحرضهم علي الخروج من عالمهم

الواسع في قريتهم إلي العالم الأضيق في وطنهم العربي وإذا بهم قد تغيروا وتغيرت أشياء وأشياء في حياتهم التي اصطبغت بالتراجيدية الإنسانية، هؤلاء الفلاحون الفقراء عادوا إلي قراهم يرتدون ملابس الشامواه وماركات الكريستان ديور وساعات من الماركات العالمية فصارت حياتهم عبارة عن تليفزيونات وفيديوهات وكاسيت وإذا بهذا البيت الطيني الجميل والصحي قد أصبح مبنياً بالخراسانات قبيحة الشكل وأصبح الواحد منهم يجلس علي البلكونة ويشرب مرطبات من معلبات وزجاجات المياه الغازية المختلفة فاختلت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية اختلالاً عجيب الشأن وبالتالي اختل النسق الحضاري لهؤلاء البسطاء الذي كانت تحكمهم قوانين وأعراف محددة وبدل ما كان الواحد يتحدث عن الزراعة والسنابل والخضروات الطازجة صار يتفاخر بما لديه من معطيات الحياة الاستهلاكية فعبد الرحمن الأبنودي لم يخرج من ريف الصعيد وقضية الإنسان في الصعيد فديوان «الاستعمار العربي» يظهر لك الخلل الذي فصم عري البني الاجتماعية التي كانت قد تأسست علي قيم نبيلة وعريقة لدي الإنسان المصري في الصعيد.

من خلال هذا الشرح واضح أنك مستفز ومحبط مما حدث لهذا الإنسان الفلاح.. هل هذا الاستفزاز والإحباط ولد في داخلك قصيدة أو قصائد؟

-موضوع كهذا يدخل كفكرة ضمن دائرة علماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد ولكن الذي لفت نظري وأزعجني أن هؤلاء الناس أقصد الفلاحين كانوا يعيشون علي التراث يعني عندهم مناطق إبداع محفزة منتجة مدهشة وأنا أحد تلامذتهم فضربوا بكل ذلك عرض الحائط وخلفوا كل ذلك التراث

وراءهم، فالواحد منهم صار يتسمر أمام التليفزيون لساعات وساعات ملتزماً الصمت وبالتالي فإن مناطق الإبداع النشطة لديهم قد تعطلت عن العمل فهذا الذي كان يقول: «أنا كل ما قول التوبة يابوي ترميني المقادير» يأتي وينتظر الأغنية التي كتبتها أنا أو غيري ويتفرج عليهم مثل القرود وهو في رأيه أنهم مثل القرود.

أوتلومهم.. أليسوا ضحايا؟

-أتفق معك.. الفلاح لا ذنب له، رجل انفتح أمامه باب رزق ونحن قد حشونا دماغه بأفكار طيبة عن أمته العربية وعن الأخوة العربية وعن القومية العربية وعن الوحدة العربية فذهب وعاد مختلفاً مفرطاً في أشياء كثيرة هناك والبعض منهم دفع ثمناً غالياً وهناك من عادوا جثثاً مكدسة بصناديق اتجهت بهم من المطارات إلي المقابر.. وهناك من فقدوا حقوقهم وعرقهم وتعبهم لسنوات وسنوات.

هل للشعر موقف ثابت؟

-ماذا تعني بالموقف الثابت؟!.. الشعر أيام العهد الملكي كان يختلف عن الشعر الذي ظهر أيام عبدالناصر ويختلف كذلك عن الشعر الذي ظهر أيام السادات.. ثم إن الشعراء أولاد وأحفاد من سبقوهم ممن عبروا عن عصورهم يعني بيرم التونسي يعتبر والد فؤاد حداد وعبدالله النديم يعتبر والد التونسي ونحن منذ أن وجدنا، وجدنا هذا الميراث مثل الراية جيل يسلمها للأجيال التي تأتي من بعده هذا جانب من الجانب الآخر، الثقافات حينما تذهب وتأتي مكانها ثقافة أخري أيضا تكاد أن تتشابه مع الحالة

الشعرية فثقافة الستينيات تختلف تماما عن الثقافة المطروحة هذه الأيام.. مثلاً: العصر الذي نعيشه يعتبر عصر إعلانات الألبان والمشروبات، إعلان عن الاستهلاكيات بكل جدارة بينما أيامنا كانت المطبعة تعطيك كتاباً في كل ست ساعات وكان الذي لا يقرأ يجد نفسه منعزلاً عن الناس لأن الذين يقرأون يناقشون أما الآن فالتعامل بالدولار والحديث عن الدولار هو القاسم المشترك والغالبية العظمي من المستهلكين، والمؤسف أن الكتاب هو الآخر أصبح مرتفع الثمن.. فأين يتجه الإنسان؟.. يتجه إلي الثقافة السهلة ثقافة التسطيح والتهميش والتجهيل ثقافة التليفزيون أو ثقافة الاستهلاك. هل حدث تغير عند الشاعر الأبنودي.. يعني هل هناك تغير ما بين أبنودي الستينيات وأبنودي التسعينيات؟

-بصراحة.. الأبنودي هو الأبنودي متفاعل دائماً مع أحداث يومه، وبصراحة الشاعر اليوم يحتاج إلي قدرات تفوق قدرة البشر كي يخترق القشرة الإعلامية اللعينة يا رجل أنا جئت إلي القاهرة كي أدخل الجامعة أنا وصديقي الشاعر «أمل دنقل» وما هي إلا أيام حتي وجدنا أنفسنا نذهب إلي رابطة الأدب الحديث ونطرق أبواب جميع النشاطات الأدبية والفكرية والثقافية بل نساهم في بعض فعالياتها وعندما أرسل لي الوالد أربعين جنيهاً كمصاريف للجامعة وكنت قد تيقنت بعد أن يئست ألا مكان لي في الجامعة ذهبت إلي سور الأزبكية المكتظ بشتي أنواع الكتب وكان هذا السور من معالم مصر الحضارية الكتب القديمة بقرش أو بقرشين وأغلي كتاب بخمسة قروش فما كان مني إلا أن جئت بصندوق ضخم واشتريت بالأربعين جنيهاً كتباً وأخذت الصندوق إلي الصعيد وهذا هو الصندوق الذي

نمي ملكة الموهبة الشعرية لدي بالحصيلة الثقافية التي هيأتني كي أكون شاعراً فكيف يمكن لي أن أتغير عما كنت عليه؟.. لا يا صديقي أنا لم أتغير بل ازددت تشبثاً بالقراءة والتعايش مع أحداث العالم التي تقذف لنا في اليوم الواحد بزخم من المعارف التي لا حصر لها ولا نهاية.. للأسف إن الكثير ممن يفترض أنهم يسيرون علي نهجنا لم يتتبعوا الأسس التي أسستنا وتأسسنا عليها.

من تقصدهم هم من أجيال التسعينيات والألفين؟

-نعم.

أليس من مسئوليتك الأخذ بأيديهم؟.. صلاح جاهين كان يفعل ذلك، وبيرم كان يفعل ذلك، وفؤاد حداد أيضاً فهناك الكثير ممن يدينون لهم بالفضل؟

-ما أريد أن أقوله لك في المثل السابق علي سؤالك والذي جئت به علي حكاية الصندوق هوأن في الستينيات لم يكن هناك من أحد يمد يده لأحد ولكن أنا أحياناً كنت أضم يدي إلي هؤلاء لأنهم حمايتي لأنهم هم الدفاع عني نحن في الستينيات كنا نحارب ضد عدة جبهات الاستعمار من جهة والصهيونية من جهة والجهل والتخلف من جهة والرجعية من جهة، كانت حياتنا ثورية في كل ما نعمل علي الصعيد العربي فمصر كانت تتبني مشروع القومية العربية، كان لابد للعرب أن يسمعوا موال النهار وأبوالمسيح والأغنيات التي سهرنا ليالي وأسابيع وأشهر مع عبدالحليم حافظ لنظهرها للناس، هذه الأشياء الحقيقية لم أكن أنا الذي كتبتها، الواقع

كتبها من خلالي يعني فترات تصنع المعبرين عنها فالظروف الموضوعية هي التي دفعت بي أن استقيل من وظيفة كاتب جلسة في المحكمة في الصعيد وكل واحد من أبناء جيلي إما استقال أو ترك دراسته وجاءوا، القصاص قصاص والرسام رسام والشاعر شاعر والصحفي صحفي وكانت تدفعنا دوافع أكبر منا.

هل اختفت تلك الدوافع؟

-بكل أسف.. ماتت الكثير من الدوافع وهذا أمر محزن عدونا الذي هو المحور الرئيسي استسلمنا أمامه قطراً بعد قطر حتي أصحاب القضية أنفسهم انتهوا إلي شيع وأحزاب والتفتوا إلي خصومات بين بعضهم البعض والعدو سائر وفق تنفيذ مخططاته المدروسة.أيائس أنت؟

-لا أريد تكرار الكلمات المعلبة «لا حياة مع اليأس.. ولا يأس مع الحياة» ولكني أتساءل أين هو الهدف أين هو المشروع الذي أفنينا شبابنا بالعمل علي تحقيقه؟.. لا يوجد!.. فالآن أنت ممكن أن تأتي وتجمع حولك عدداً من الشعراء وتتحدث إليهم في الصناعة الشعرية.. «يا ابني هذا البيت مكسور!».. يا ابني هنا الموسيقي الشعرية مختلة».. «يا حبيبي عليك باللغة اللغة هنا ضعيفة».. أو «أن هذه لغة صلاح جاهين فابحث لنفسك عن لغتك الخاصة».. إذا كان ما تقصده بسؤالك عن الذين أأخذ بأيديهم فأنا كثيراً ما أفعل ذلك ليس في مصر وحدها فحسب لكن في كل مكان في الوطن العربي.. لكن الأهم من كل هذا وذاك أن الحوافز قد ماتت تماماً هي الأخري.. لأن مرحلة وجود عبدالناصر كانت شيئاً مهماً لتحفيز الناس

للسير معه في المشروع.. رغم أننا كنا نصارع حتي ضد عبدالناصر نفسه لأننا كنا نحلم أكثر وأثبتت الأيام أننا كنا علي حق وأن عبدالناصر كان لابد أن يضع جذوره داخل الناس ويتفرغ من أجل تقوية الجيش يعني الجيش الشعبي وليس أن يأتي رئيساً بعده ويدوس علي كل شيء.. ويمسح كل شيء.. ولكي يخلد نفسه سار في اتجاه معاكس للمشروع الذي أفنينا شبابنا من أجل تحقيقه.. للأسف هذا الذي أوصلنا إلي تطحلب النبات السلطوي الفوقي أي طالع إلي فوق الماء وليس ضارباً جذوره في الترعة.

عبرت عن ذلك؟

-الحواجز أكبر من كل الأحلام

واسمك من اسمي واسمك

من جهلي وجهلك واسمي واسمك

مش حتعلمني أكتر ما تعلمت

روح علم أبوالواد والبت

إللي حيرميهم فيلم العبرة

يصيبه بكرة

ولحد دلوقت ما يعرفش إزاي يكتب وإزاي يقرا

إزاي يعشق وإزاي يكره

ولا عنده فكرة عنك

أو عن بكرة

لا أنا ولا أنت نجحنا في تغيير الفكرة

هل هذا الإحباط أحال ما بينك وبين القصيدة لتتجه لكتابة الأغنية؟

-بالعكس.. أنا مؤمن بالأغنية لأنها أكثر تأثيراً من القصيدة أولاً: الأغنية تطارد السامع في التاكسي وعند الحلاق وفي الشارع وفي المقهي.. ثانياً: الأغنية الواحدة أطبع بريعها ديواناً كاملاً من الشعر وهي فن خفيف الوزن تنتقل إليك وتكون طيعة بين يديك وفي وقت لا يستغرقك الكثير.. ثالثاً: الأغنية أخطر من القصيدة لأن القصيدة لا يستمع إليها أحد إلا إذا نشرتها أو انتقلت بين الناس لتلقيها عليهم بنفسك الأغنية لبست الكاكي وحملت السلاح في فترات النضال.

ماذا عن دور الأغنية في ١٩٧٣ أعني في معركة العبور؟

-بصدق أقول: ظهرت ظواهر غنائية أشبه بالميكروبات أشبه بالخلايا السرطانية في الجسم والذين تولوا أمرها أدعياء معدومي الثقة ومعدومي الهدف صنعوها بلا خوف علي الأوطان بلا خوف علي البشر فتحولت إلي فن استهلاكي مثل زجاجات المياه الغازية مثل السجائر يعني أنت تدخن السيجارة وترمي عقبها ثم تسير فليس هناك من يفكر في أن يدخن هذه الأعقاب من بعدك.. فالأغنية أيام النضال في التجربة التي عاشها الأبنودي مع بليغ حمدي مع عبدالحليم حافظ والنابعة من الفلكلور المطور هي شبيهة أيضاً بالأغنية التي ارتدت الكاكي وناضلت.

ما تريد الوصول إليه من كل هذا هو الصدق أو اللاصدق في الأغنية؟

-تماماً.. يعني نحن بدأنا بأغاني مثل «آه يا ليل يا قمر» و«عدوية» و«تحت الشجرة يا وهيبة» و«آه يا اسمراني اللون» كل هذه الأغاني لقيت نجاحاً منقطع النظير لأنها تحمل طابع الصدق وفي أيامنا في عز الظلام الحالك أغني موال «النهار» وأقول: أبداً بلدنا للنار وأرفض الهزيمة ما أريد الوصول إليه أن الإنسان عندما يدخل معركة قد يخسر بعض الشيء ولكن لا يمكن أن يكسر إيمانه بالشيء الذي دخل معركة من أجله هذا ما أريد أن أقوله نحن لعبنا هذا الدور نحن ربطنا بين الناس وبين إيمانها بعقيدتها للغد فكانت الأغنية المرتدية الكاكي الصادقة وليست الأغنية «الهبلة» ليست الأغنية الاستهلاكية ولذلك لا أحد يجدني الآن في هذه السوق فأنا لا انتظر أن تفتح أجهزة الإعلام الرسمي أبوابها لواحد مثلي لأنها لا تسوق إلا الزيف والتطبيل والدجل.

هل ما تقوله ينطبق علي الأغنية فقط؟

-غالبية فنون صناعة الإعلام الرسمي سواء في المسرح أو السينما أفلام مقاولات ومسارح الضحك والتهريج وصناعة نجوم يطبلون للنظام، أنا مؤمن بدور الفن إيماناً كبيراً.

ما العمل إذاً في ظل هذه الأوضاع؟

-لن نقف مكتوفي الأيدي أنا أنجزت الليلة المحمدية وكانت متميزة عن السائد والرائج في الأسواق وعندما تتاح لي الفرصة أقدم أشياء تليق بالمجتمع الذي أحبه وأحب أن أعطيه ما يستحقه من الفن فيما مضي كنا

نقضي ما يقرب من العام أنا وعبدالحليم وبليغ علي أغنية واحدة إلي أن يخرج عبدالحليم ويغني «الهوي هواي» بعد سنة من العمل المتواصل.

لا شك أنك افتقدت عبدالحليم وبليغ؟

-الأمة العربية كلها افتقدتهما عبدالحليم الله يرحمه كان يؤمن بعمل الورشة والفرق بينه وبين الآخرين مثلاً: عندما يهاتفني هاني شاكر ويقول لي: نريد منك أغنية ومعي الملحن فلان الفلاني ويأتي هذا الملحن ثم يأخذ الكلام ويبدأ بالتلحين ويذهب ليلحن الكلمات عبدالحليم لم يكن يفعل ذلك كان يهاتفني في الثالثة صباحاً ونلتقي نحن الثلاثة ونتداول فيما وصل إليه اللحن من نغمات أو تغيير في الألفاظ أو في الآلات لذلك كنت كثيراً ما أنفجر وأصرخ يا ناس عايز أرتاح!.. يا ناس عايز أنام!.. ولكن عندما يظهر العمل للناس ونتذوق جميعاً حلاوة النجاح يهون بعد ذلك كل شيء.. صدقني إذا قلت إن أغنية واحدة مع عبدالحليم حافظ كانت تحول بيني وبين قراءة «٢٠٠» كتاب أو من الممكن أؤلف ثلاثة كتب.. كنت أقول دائماً: إن قصيدتي إذا نشرتها إحدي الصحف فإن عدد قراء تلك الصحيفة لا يتجاوز عشرات الآلاف من القراء لكن قصيدتي التي يوزعها عبدالحليم حافظ تصل إلي ملايين الناس بل إنها تبقي خالدة.

أغنيات الأبنودى

ووجدان مصر والعرب

رغم أن الشعر هو كتاب ولسان العرب، فإن تأثيره في وجدان الأمة يتوقف على آليات توصيله إلى الناس عموما، من يقرأ منهم ومن لا يعرف القراءة، لذا تفوق الغناء بشكل هائل في صياغة وجدان الأمة باعتبار أنه يصل إلى الجميع.

وحتى الشعراء الذين تغنى مطربو زمانهم بأشعارهم كانوا أكثر تأثيرا من غيرهم فى وجدان أمتهم. وكان »ابن خلدون« محقا في مقولته الشهيرة: »أول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه، صناعة الغناء«. فصناعة الغناء تشكل تعبيرا مكثفا وموحيا عن حالة الأمة وعن صعودها أو تدهورها، ربما بشكل أعمق وأسرع من أي صناعة أخرى.

وعندما كانت مصر تنهض بجسارة لتنهي الحكم الملكي، وتؤسس نظاما جمهوريا يليق بقامتها الحضارية والتاريخية التي تفوق كل ما عداها، وتلقي أيضا بالاحتلال الأجنبي الكريه في مكب نفايات التاريخ، كانت الآداب والفنون تنهض مزدهية بصورة موازية للنهوض الاجتماعي-السياسي-الاقتصادي في مصر الذي شكل أرضا موضوعية نهض وترعرع فيها أساطين الشعر والأدب والموسيقى والغناء من مصر وممن هاجروا إليها من شقيقاتها العربيات. وخلال الحقبة الناصرية بالذات، فتح المشروع الناصري للتقدم والتنمية على مختلف الأصعدة طاقة للحلم والشعر والغناء

والموسيقى. ورغم انعدام الديمقراطية السياسية الحقيقية في ذلك العهد، فإن المساحة المشتركة بين المشروع الناصري ومصالح الشعب كانت هائلة، وفتحت بابا لحالة من الالتفاف الجماهيري حول عبد الناصر الذي تحول بالفعل لزعيم أسطوري.

وفي دنيا الأدب والغناء والسينما والمسرح والموسيقى والإخراج وكل مجالات الفنون والآداب، ظهرت مواهب جبارة وزعامات مقابلة في تلك المجالات. وظهر عبد الرحمن الأبنودي في أواخر خمسينيات القرن العشرين، ليفصح من اللحظة الأولى عن موهبة شعرية جبارة، أو فلتة عبقرية في الشعر العامي المصري، بموهبة خارقة تشكل تعبيرا مكثفا لقريحة شعب عبقري صنع فجر ضمير الإنسانية وكون مخزونا حضاريا هائلا ورصيدا أسطوريا من الصور والتعبيرات البديعة التي تأسر القلوب والضمائر وتحمل على جناحها أنبل القيم والمعاني والمواقف.

وشعر الأبنودى هو بمثابة عزف على أوتار القلوب، يزدهى بألق البهجة، وبعمق مشاعر الشجن فى لحظات الحزن والانكسار التى لاتستغرقه، بل يحولها لمرجل للتحدى وللمقاومة لفتح بوابات الانتصار. وشعره يحلق بجسارة فى فضاء المشاعر الفتية الحرة، وفدائية الدفاع عن تفاصيل الوطن، وعن كل ما هو إنساني، وعن قيمة الحرية والكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية، وعن أحلام البسطاء والشغالين الذين يحملون على أكتافهم مهمة بناء أمجاد هذا الوطن وأسباب قوته وعزته.

وفى كل معارك مصر الوطنية، كان عبد الرحمن الأبنودى فى الصف الأول من منشدى الشعب، معبرا عن روحه وآماله وآلامه وقدراته على البناء والمقاومة، فرفعه الشعب لمكانة استثنائية أميرا على قلوب عشاق الشعر العامي. لكنه حقق مكانة استثنائية، وقدم مساهمة هائلة فى صناعة وجدان مصر وشعبها العظيم والأمة العربية بأسرها، عبر أشعاره التى تغنى بها جيل العمالقة من المطربين والمطربات العظام من مصر والوطن العربي.

وإذا كان سد مصر العالى هو مشروع مصر الأعظم فى العصر الحديث وعلى مدار تاريخها الطويل الذى يبدأ به التاريخ المكتوب للعالم، وإذا كان الأمريكيون أنفسهم الذين حاولوا عرقلة إقامة هذا المشروع بكل السبل، قد اضطروا للاعتراف بأنه أعظم مشروع بنية أساسية فى العالم فى القرن العشرين لأنه غير مصير شعب بأكمله، فإن شعر عبد الرحمن الأبنودى كان سفيرا لحلم المصريين البسطاء وآمالهم المعقودة على السد، فكان ديوانه الذى سافر فى تلك الأحلام عبر جوابات حراجى «الجط» العامل فى السد العالى لزوجته فاطمة عبد الغفار الساكنة فى جبلاية الفار.

كان شعره عن السد والمواجهة مع العدو الصهيوني، وهزيمة عام ١٩٦٧، والمقاومة وحرب الاستنزاف ووجوه المقاومين على الشط، وحرب أكتوبر، وافتتاح القناة والتسوية السياسية التى عقدها الرئيس الأسبق السادات مع الكيان الصهيونى وعن اغتياله بعد ذلك.. كان شعره أغنيات للشعب فى كل الحالات وليست أغنيات للسلطان فى أى مرة.

ومع الرموز العظمى للغناء العربي، كانت له رحلة حافلة بالإبداع الذى سيظل يسكن ضمائرنا ووجداننا على مر الدهور. ومع ساحر الغناء العربى وأسطورته الخالدة عبد الحليم حافظ، كانت للأبنودى رحلة حافلة بالأغنيات الوطنية والعاطفية والشعبية البديعة. وكان يدرك سيطرة الغيرة الفنية على عبد الحليم حافظ ورغبته فى الاستئثار بأعظم الملحنين والشعراء، لكن الأبنودى العاشق لصوت عبد الحليم وانحيازه لقيم الجمال والوطنية والعدالة، كان فيضانا يستعصى على التقييد، فانطلق بأشعاره عبر كل الأصوات المتألقة على الساحة الفنية. ومن أجمل الأغنيات التى غناها عبد الحليم من أشعار الأبنودى «أحلف بسماها وبترابها» و»ابنك يقولى يا بطل»، والاثنتان من تلحين كمال الطويل، وهما أغنيتان تحملان العهد والوعد على المقاومة والدفاع عن الوطن والشعب. وفى نفس السياق كانت أغنية «البندقية اتكلمت» دعوة للمقاومة.

لكن أغنيته الأعظم التى تظل جوهرة استثنائية فى تاريخ الغناء الوطني، هى تلك التى ألفها بعد الهزيمة، ولحنها كمال الطويل أيضا وغناها عبد الحليم حافظ، وهى الأغنية الخالدة «عدى النهار»، فقد كانت مصر تلعق جراح هزيمة ١٩٦٧، وتتحصن ببأس شعبها وعمق ميراثها الحضارى لتستحضر كل قوتها لخوض حرب التحرير، ولم يكن لديها سوى أغنيات وطنية تحتفل بانتصارات لم تكن موجودة آنذاك، أو أغنيات كريهة تمجد شخص الحاكم، ومن غير الملائم إذاعة هذه أو تلك، ولم يكن هناك سوى عدد محدود من الأغنيات الوطنية العامة مثل «بلدى أحببتك يا بلدي» لمحمد فوزي، أو «طوف وشوف» لأم كلثوم. لكن الأبنودى قدم «عدى

النهار» شاديا للألم العميق وجرح الكرامة والبدن الذى أصاب مصر، منهيا أغنيته بنشيد بطولى للمقاومة يستنهض همم البشر ويستنطق الحجر للدفاع عن الوطن، مع أداء مبهر لعبد الحليم: «أبدا بلدنا للنهار بتحب موال النهار.. لما يعدى فى الدروب ويمر قدام كل دار». وكانت تلك الأغنية مع أغنيتى محمد عبد الوهاب «سواعد من بلادي» و«طول ما أملى معايا وفى إيديا سلاح»، وأغنيتى فايزة أحمد «حبيبتى قاهرتي»، و«شارع الأمل» من أهم الأغنيات التى عبرت عن جرح الهزيمة وشدت عزائم المصريين والعرب للمقاومة واستيلاد النصر من أضلع المستحيل.

ومع عبد الحليم أيضا قدم احتفاليات للنصر فى «صباح الخير يا سينا»، وغيرها من الأغنيات التى لا مجال للإبحار فى عالمها الثري. وقدم معه بعضا من أجمل الأغنيات الشعبية والعاطفية مثل «أحضان الحبايب» و«الهوا هوايا»، وغيرها من الأغانى التى جعلت من هذا الثنائى حالة غنائية استثنائية فى سحرها وجمالها.

أما كروان الشرق وساحرة الغناء العربى على مر العصور فايزة أحمد، فقد كان للأبنودى مسيرة حافلة معها أنتجت بعضا من أروع جواهر الغناء العربي. وتلك المطربة تملك صوتا نادرا يتسم بأنه ذو رنة أسطورية لا مثيل لها، مجسم وثلاثى الأبعاد بمنحة طبيعية تفوق الخيال وتتجاوز تقنيات البشر التى أتت فيما بعد. وهو مغزول بجواهر الإحساس المرهف والعميق ومطعم بكل جماليات وزخارف الغناء العربي، ويتدفق فى تلقائية مذهلة من مطربة تبدو فى سهولة وبساطة وتلقائية غنائها كأنها راعية تشدو لنفسها فى فسيح المروج بلا صنعة لأن صوتها الآسر يشكل حدود الجمال

والصنعة، رغم أنها بصوتها القوى والمتمكن من أداء نغمات أو مقامات الغناء العربي، والمطعم بزخارف وجماليات لا حدود لها، كانت قادرة على أن تفعل الأعاجيب بصوتها، لكنها انتصرت للغناء القادم من بوابة الإحساس وليس من بهرج الاستعراض.

وقد كتب الأبنودى لها أغنية «يامه يا هوايا»، وهى أغنية تتسم بجرأة وحيوية المشاعر. وكذلك الأمر فى أغنية «مال على مال». أما أغنية «قاعد معاي» فهى تحمل سحر ونقاء وبساطة مشاعر المحبين البسطاء بكلماتها البديعة التى يقول فى مفتتحها «وما دام معاي، وبنقسم اللقمة ونضحك وبنشرب شاي». أما أغنيته «بالى معاك» التى تعاملنا معها على أنها أغنية عاطفية، فقد كانت فى الحقيقة أغنية عتاب رقيق للزعيم الراحل جمال عبد الناصر. ويقول فى مفتتحها « بالى معاك بالي.. يا ابو الهوا العالي.. طول ما انت فى العالي.. مش راح تشوف حالى يا الاسمر». وهذه الأغنيات كلها من ألحان الموسيقار الكبير محمد سلطان.

وفى أحد اللقاءات الإذاعية القديمة نسبياً، كان الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودى يقول رأيه فى المطربات والمطربين الذين تغنوا بأشعاره والملحنين الذين حولوا أشعاره إلى غناء يسكن وجدان أمة العرب من الخليج العربى إلى المحيط الأطلنطي، فقال عن الموسيقار الكبير محمد سلطان: لقد حول أغنياتى الشعبية التى غنتها فايزة أحمد إلى حالة رومانسية. وما أجمل أن يقترن الغناء الشعبى بروحه الطازجة وإيقاعاته الشعبية إلى حالة من الرقى والسمو الرومانسي.

ومع الفنانة الرائعة شادية، قدم عددا من الأغنيات الساحرة منها «ولا قدك ميه يا ابو العين العسلية»، و«الشابة حتة سكرة»، وغيرهما من الأغنيات، لكن جوهرتيه لهذه الفنانة الرائعة هما أغنيتا «جاللى الوداع» من ألحان محمد الموجى أحد أعظم الموسيقيين العرب على مر العصور، و«آه يا اسمرانى اللون» من ألحان العظيم الآخر بليغ حمدي. وأغنية «جاللى الوداع» بالذات تحمل عمق التجربة الذاتية لرجل تعرض للاعتقال ويعرف مرارة لحظة الافتراق عند الأحباب في لحظة الاعتقال التى خلدها فى تلك الأغنية الخالدة، مع لحن مفعم بالشجن من سماوات محمد الموجي، وأداء من القلب بصوت شادية الساحر والقريب من القلوب والضمائر.

أما الفنانة العظيمة «نجاة الصغيرة»، صاحبة الصوت الحنون الدافئ، والتى يعتبرها الأبنودى الصوت الماسي، فقد غنت له عددا من الأغنيات، لكن أروعها هى أغنية «مسير الشمس من تاني» التى تعامل الجميع معها على أنها أغنية عاطفية، لكنها فى الحقيقة، كانت أغنية سجل فيها الأبنودى حزنه العميق على تفكك الحركة اليسارية المنادية بالحرية والعدالة فى ستينيات القرن العشرين، وبث فيها أمله فى عودة تلك الحركة مرة أخرى للدفاع عن حقوق الشعب. وأغنيته الأخرى الأكثر روعة مع نجاة، هى «عيون القلب» التى تعد الأكثر شهرة لدى الأجيال الشابة.

ومع الفنانة الراحلة وردة وهى صوت قوى وخامته بديعة، قدم عددا من الأغنيات الرائعة، لكن أبرزها هى أغنيته «قبل النهارده» التى كانت إهداءً رقيقا لزوجته الحالية السيدة/ نهال كمال، التى سجل فى تلك الأغنية مشاعره تجاهها، وكأن حياته تبدأ بلقائه بها.

ومع رفيقه والأقرب إلى روحه الشعبية، الفنان الكبير الراحل محمد رشدي، قدم الأبنودى عددا كبيرا من الأغنيات، أبرزها «ياليلة ما جانى الغالى ودق عليا الباب»، و«عدوية» و«بلديات»، و«سلاسل فضة»، و«وسع للنور» و»وهيبة». وفى بداية أغنية «وهيبة» يسجل الأبنودى سحرا لا يدرك كنه جماله سوى أهل الريف فى وصف ليل الربيع حيث يقول «الليل بينعس ع البيوت وعلى الغيطان.. والبدر يهمس للسنابل والعيدان.. ياعيونك النايمين ومش سائلين.. وعيون ولاد كل البلد صاحيين.. تحت الشجر واقفة بتتعاجبي... دى برتقانة ولا دا قلبي.«

ومع جيل محمد منير وعلى الحجار وهانى شاكر ومحمد ثروت، قدم الابنودى بعضا من أجمل الأغنيات الوطنية والعاطفية والشعبية التى تغنوا بها، وربما تكون أغنيات مسلسل «جمهورية زفتى» التى غناها الساحر محمد منير، من أبدع ما غنى هذا الجيل للأبنودي.

ولو تأملنا ما قدمه الأبنودى للمطربين العظام المشار إليهم آنفا، وغيرهم من المطربين، يمكننا القول بضمير مستريح ان إسهامات هذا المبدع ذى الروح البرية العصية على الترويض والموهبة المتفجرة كالفيضان فى تشكيل وجدان مصر ووطنها العربي، تضعه فى مكانة سامية وتجعل منه بالفعل نهرا من الإبداع والعطاء، وجزءا غاليا من ضمير أمة شكلت فجر ضمير الإنسانية بأسرها.

الخال الأبنودي

شاعر الثورة والسلطة

قبل شهور من وفاته، حلّ الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي ضيفًا على قناة تلفزيونية، وقتها سألته المذيعة عن كيفيه استقباله لشائعات كانت تطلق من حين لآخر عن وفاته.

وقتها فاجأ الأبنودي محاورته بقصيدة عن الموت قال فيها: "إذا جاك الموت يا وليدي .. موت على طول .. اللي اتخطفوا فضلوا (ظلوا) أحباب.. صاحيين (موجودين) في القلب .. كأن محدش غاب (لم يغب) .. واللي ماتوا حتة حتة (جزء جزء) .. ونشفوا وهم حيين.. حتى سلاموا عليكو (السلام عليكم) مش (لا) بتعدي من بره الأعتاب".

الأبنودي أو الخال كما يطلق عليه في الأوساط الفنية والثقافية، أظهر في هذه الأبيات جسارة في مواجهة الموت، الذي كان على موعد معه اليوم لينهي مسيرة حياة حافلة امتدت لـ ٧٧ عامًا، عاش فصولها بين صعيد مصر والقاهرة حيث الشهرة والأضواء، وختم حياته في محافظة الإسماعيلية، شمال شرقي مصر، التي انتقل للإقامة بها قبل عام ونصف العام.

استطاع "الخال" أن يخط لنفسه خطًا فريدًا، حافظ به على الزخم الثوري لشعره، وفي نفس الوقت على علاقته بالسلطة والتي لم تتوتر إلا في ست سنوات وهي السنوات الخمس الأخيرة من حكم الرئيس الراحل

أنور السادات والسنة التي حكم فيها الرئيس الأسبق محمد مرسي، حتى أن المتتبعين لمسيرته الشعرية يمكن لهم أن يطلقوا عليه "شاعر الثورة"، وأحيانا يمكنهم أن يطلقوا عليه شاعر "السلطة".

وأثارت هذه الازدواجية انتقادات كانت توجه للأبنودي، إلا أن هذه الانتقادات كان يتم الرد عليها من جانب النقاد، بأنها لا تمنع من الإقرار بأن قصائد الأبنودي تعد تأكيدًا وتعزيزًا لسلسلة من القيم الجمالية في الشعر.

والأبنودي كان من أشد المؤمنين بثورة يوليو/تموز ١٩٥٢ التي أطاحت بالملكية، فصدح شعره تأييدًا لها، ورغم ذلك دخل الأبنودي سجون "نظام يوليو".

ويقول عن تجربة السجن: "عند اعتقالنا لم توجه لنا تهمة، وفترة الاعتقال كانت جميلة، ولو كنا نعلم بحلاوتها لطلبنا الاعتقال بأنفسنا".

ورغم سجنه لم يتخل عن تأييده لعبد الناصر حتى مماته، وكان يرى أن الأزمة تكمن في من أحاطوا به، وقال في ذلك: "لا نستطيع أن ننكر دور الزعيم عبد الناصر.. أما عن المآخذ عليه، فأنا أتخيل نفسى رئيس دولة ومن حولى ٥٠٠٠ من الشخصيات الأمناء الذين أثق فيهم ويقدمون لى التقارير، هل أنزل بنفسي للتحقق من صحة هذه التقارير.. عندما يصبح هؤلاء الأمناء ليسوا أمناء، فهم خائنون".

وحملت دواوينه الشعرية تأييدًا لـ"المشروع الناصري"، وفي مقدمتها ديوانه "الأرض والعيال" الذي صدر في طبعته الأولى عام ١٩٦٤، ثم ديوانه "الزحمة" الصادر عام ١٩٦٧، و"عمّاليات" عام ١٩٦٨، ثم ديوانه

"جوابات حراجي القط" ١٩٦٩، وهو واحد من أهم دواوينه الشعرية، حيث كرسه لمؤازرة مشروع السد العالي.

وفي عصر الرئيس الراحل أنور السادات، كانت العلاقة بين الأبنودي والرئيس طبيعية، وكانت أشعاره لاسيما قصيدة "صباح الخير يا سينا" التي غناها المطرب الراحل عبد الحليم حافظ واحدة من أهم الأغاني التي تحدثت عن حرب أكتوبر/ تشرين أول عام ١٩٧٣، ولكن حدث في عام ١٩٧٥ ما أدى إلى توتر العلاقة.

وحكى الأبنودي بنفسه الموقف الذي أدى لتور العلاقة، حيث تلقى اتصالاً من فوزى عبد الحافظ، مدير مكتب السادات، يطلب منه الحضور، وبالفعل ذهب الأبنودى فقابله السادات بجملة "أنت جيت يا عبدالرحمن"، فرد: "أهلًا سيادة الرئيس"، ومد الأبنودى يده ليسلم على الرئيس لكن كانت الطاولة بينهما طويلة بحيث يضطر للانحناء أثناء المصافحة، وهنا ظهر مصور من العدم، والتقط تلك الصورة أثناء مصافحته للسادات وهو "منحنى"، ويقول الأبنودى فى هذا الشأن إنه أحد "ألاعيب السادات".

وانضم الأبنودى بعد هذا اللقاء إلى حزب التجمع، فغضب السادات، ليصبح الخال بعد ذلك من رواد "أمن الدولة" الدائمين، ولم يكن من المثقفين الذين نجح نظام السادات في اجتذابهم للموافقة على اتفاقية السلام مع إسرائيل، حيث كان له موقف مضاد من الاتفاقية وأصحابها.

وتوترت العلاقة أكثر وأكثر بين السادات والأبنودى حتى أنه فى فبراير/شباط من عام ١٩٨١ ألقى فى عيد الطلاب قصيدته "المد والجزر"

التى تنبأ فيها بمقتل السادات، وفى نفس التوقيت كتب قصيدته "لا شك أنك مجنون"، وصارت قصائد الأبنودى بمثابة الصداع في رأس نظام السادات.

وفي نفس العام، صدقت توقعات الأبنودي، واغتيل السادات، وعلق على ذلك بقوله: "كنت حاسس (أشعر) أن رحيله في هذا الوقت نعمة، بغض النظر عن أنه اغتيل، لأنى ضد الاغتيال".

وعادت علاقة الأبنودي بالأنظمة السياسية إلى سابق عهدها بعد فترة السنوات الخمس الأخيرة في حكم السادات، وكان الكثير من الأوبريتات الغنائية التي تغني في حفلات الرئيس الأسبق حسني مبارك من تأليف الأبنودي، ومنحة مبارك جائزة الدولة التقديرية عام ٢٠٠١.

ورغم علاقته الدافئة بنظام مبارك، لم يمنعه ذلك من تأييد ثورة يناير/كانون ثان ٢٠١١، وانتشرت قصيدة الأبنودي "الميدان" فى ميدان التحرير بشكل لم تسبقه إليه أي قصيدة، وكان الشباب يحفظونها ويرتلونها.. وكانت تلهبهم حماسًا وقوة، لاسيما في مقطع "آن الأوان ترحلى يا دولة العواجيز".

وبعد أن تولى الحكم في مصر الرئيس الأسبق محمد مرسي، كان للأبنودي نظرة سلبية تجاه حكم جماعة الإخوان المسلمين، وكما أيّد ثورة يناير/كانون ثان، كان من أشد المؤيدين للخروج على مرسي في ٣٠ يونيو/حزيران ٢٠١٣، وله قصائد في مدح هذا التظاهرات.

واحتفظ الخال بعلاقة طيبة مع الرئيس الحالي عبدالفتاح السيسي، وكان في مقدمة المثقفين الذين التقوا رئيس الجمهورية، عقب انتخابه، ضمن وفد من المثقفين المصريين الذين التقوه، وله قصيدة في مدحه.

وكان اللافت أن الرئيس المصري بادر فور علمه بنبأ الوفاة بالاتصال هاتفيًا بأسرة الفقيد لتقديم واجب العزاء، بحسب بيان للرئاسة.

وجاء في بيان الرئاسة "أن مصر والعالم العربي فقدا شاعرًا عظيمًا وقلمًا أمينًا ومواطنًا غيورًا على وطنه وأمته العربية".

وأضاف البيان لقد "أثرى شعر العامية من خلال أشعاره وأزجاله الوطنية التي عكست أصالة المواطن المصري وواقع البيئة المصرية، لاسيما في صعيد مصر، وعبرت عن الوطن في أفراحه وأحزانه، وفي انتصاراته وآلامه، وسيظل الفقيد وعطاؤه الممتد، رمزًا وطنياً وعربياً نفخر بأنه من أبناء مصر الأوفياء الذين أضافوا إلى سجل إبداعها فصلاً ثرياً زاخراً بصدق المعاني وروعة الأسلوب".

والأبنودي إلى جانب قصائده السياسية، كانت له قصائد رومانسية شكلت وجدان الشباب من جيل الستينات من القرن الماضي، وغنى له المطرب الراحل عبد الحليم حافظ ٣ أغاني عاطفية، إضافة إلى ١١ أغنية وطنية.

ويقول الأبنودي تعليقا على ذلك: "حليم كان دائمًا ما يردد الأبنودي رشاني بـــ٣ أغاني عاطفية".

الأبنودى ورثاء عبد الناصر

من يمدحه يطلع خاسر ...

ويشبرولوا ايام يعيش جمال عبد الناصر

يعيش بصوته واحلامه

فى قلوب شعوب عبد الناصر

مش ناصري ولا كنت في يوم

بالذات فى زمنه و فى حينه ,

لكن العفن فساد القوم نساني حتى زنازينه

ازاي ينسينا الحاضر

طعم الاصالة اللى فى صوتوا ...

يعيش جمال عبد الناصر

يعيش جمال حتى في موته

ماهو مات فعاش جمال عبد الناصر

اسمه جمال و كان جميل فعلا

ياما شوفنا شجعان خوافه ..

عظيم وكان انسان طبعا المجد مش شغل صحافه

علشان ده عاش عبدالناصر

أعدائه كرهوا و ده نعمه ..

من كرهوا اعدائه صادق

فقلبوا كان حاضن امة و همه و مبادىء

ساكنين فى صوت عبدالناصر

ملامحنا رجعت بعد غياب ..

دلوقتي بس اللى فهمنا ,

لا كان حرامي و لا كداب

و لا نهبها مع اللى معاه

انا بحكي عن عبدالناصر

عشنا الحياة معاه كالحلم

فلا فساد و لا رهن بلاد ...

يومها انتشينا ثقافة وعلم

وفى زمنه معشناش أحاد

كنا جموع في زمن ناصر

كان الامل فى خضرته بكر ...

مفيش لصوص للقوت و المال و مصر ابطال و رجال

فكر و مثقفين ستات و رجال

جيوش جمال عبدالناصر

كان الهلال فى قلب صليب

و لا شوفنا ديب بيطارد ديب

و لا جرس خاصم مبنى

وحدنا صوت عبدالناصر

دفعنا تمن الحرية بدم

مش بدينار و دولار

يوم وقفته فى المنشية خلا الرصاص يهرب من عار

اعداء جمال عبدالناصر

رغم الحصار كنا احرار

و فى الهزيمة الشعب مجعش ...

كان اسمها بلد الثوار

و قرار زعيمها مبيرجعش

قرار جمال عبدالناصر

خلا بلاده اعز بلاد ليها احترام فى الكون مخصوص

لا شوفنا وسطوا فساد ولا خطط سمسرة و فلوس

كان الجميع عبدالناصر

لولا ما كنتوا اتعلمتوا ولا بقيتوا دراكولا ....

يالي انتوا زعماء و انجازكوا دخلتوا مصر الكوكاكولا

و بتشتموا فى عبدالناصر

عمره ما جاع فى زمانه فقير

او ملتقاش دواء للعله

دلوقتي لعبة اخطف طير و الامة فى خدمة شلة

تكره جمال عبدالناصر

يتريقوا على طوابيره

علشان فراخ الجمعيه

شوفوه غيره دلوقتي و خيره

حتى الرغيف بقى امنيه

يرحم جمال عبد الناصر

في ناس بتنهب و تسوس

لا يهمها من عاش او مات

و رضا العدو عننا يخوف

معناه اكيد اننا هفوات

من يوم ما مات عبدالناصر

الارض رجعت للاقطاع

و قالوا رجعت لصحابها

و اهو صاحبك الفلاح اهو جاع

بعت العقود اللى كتبها

بخط ايد عبدالناصر

انا اذكرك من غير ذكرى

و الناس بتفتكرك بخشوع ..

الامس و اليوم ده و بكره

يبكوك بعظمة مش بدموع

دلوقتي رجعوا الفقراء خلاص

سكنوا جحورهم من تاني

رحل معاك زمن الاخلاص

و جه زمن غير انساني

مهوش زمن عبدالناصر

صحينا على زمن الغاز

يحكمنا فيه اهل الاعمال

اتوحشوا فى جمع الاموال

و رجعنا سادة و خوادم

ضد تجاه عبدالناصر

يا جمال نجيب زيك من فين

يا نار يا ثورة يا ندهة ناي ..

البوسطجي اللى اسمه حسين

ابوك منين جابك

لو هكتبك ماتساع اقلام

ولا كلام غالي و اوراق الامر

و ما فيه انا مشتاق

فقولت أمسي عليك

و انام نومة جمال عبدالناصر

الأبنودي

شاعر الحياة والأحزان غير العادية

"في حياتي أخطاء بالغة القسوة، ندمت عليها، لكن في الشعر، لم أندم على شيء، لأن الشعر مقدس، لا يأتي بقرار، هو هبة من الله"، هذا هو صوت الشاعر الكبير عبدالرحمن الأبنودي، يأتينا في اللحظة الأخيرة، قبل أن يوارى في الثرى، في المقبرة التي أعدها بنفسه، وأشرف على كل زاوية فيها، قبل الرحيل، سينسى الجميع هذه الأخطاء، ويبقى وجه الشاعر، الذي شف فعرف، واقترب فرأى، وكتب بلغة لم تكن في حاجة إلى جسور، حتى تصل إلى وجدان البسطاء.

حمل هموم "الغلابة" اليومية في قلبه، مثلما حمل أفكاراً إنسانية مجردة في ذهنه، أراد أن ينتصر لها بشعره، حين قال في قصيدة "خايف أموت": "حاقولها بالمكشوف/ خايف أموت من غير ما اشوف/ تغير الظروف/ تغير الوشوش/ وتغير الصنوف/ والمحدوفين ورا/ مبتسمين في أول الصفوف/ خايف أموت/ وتموت معايا الفكره/ لا ينتصر كل اللي حبيته/ ولا يتهزم كل اللي كنت أكره/ اتخيلوا الحسره. "

أحب الأبنودي البسطاء، وأقام علاقة مباشرة معهم فأحبوه، وحملوه على الأعناق شاعراً كبيراً، لم تكن تعنيهم الحسابات المعقدة عن علاقة المثقف بالسلطة، وطوال الرحلة لم يخجل هو نفسه من انتمائه إلى الفقراء، ولذا صدقوا كل جملة شعرية، نطقها بلهجته الصعيدية التي لم تتبدل، وبها

كان يرأب صدع العروض والموسيقى، فهو شاعر شفاهي في الأساس، تعلم في مدرسة الحياة، واستمد منها خبراته وعلاقته بالشعر.

وبالوعي الفطري شخص أزمة العلاقة بين المثقف النخبوي والجمهور، أدرك بحسه البسيط، الذي تربى على قراءة الوجوه في الشارع، لا على الكتب، أين يكمن الخلل، ولماذا لا تصل كلمة المثقف أو الشاعر إلى الناس . يكتب الأبنودي في قصيدته "الدايرة المقطوعة": إذا مش نازلين للناس ف بلاش/ والزم بيتك . . بيتك/ وابلع صوتك/ وافتكر اليوم دا لأنه تاريخ/ موتي وموتك/ إذا مش نازلين للناس فبلاش/ مادام الدايرة ماكاملاش/ والحاجة ما تاماش/ وأصحاب الحاجة ما عرفاش/ إيه المعنى وأي بطولة/ ف إن حياتنا وأحلى سنيناً/ يروحوا بلاش؟/ حاجة ما راكباش/ أنا وأنت بنلعب طول العمر/ دورين: طليعة وجماهير. "

يعي الأبنودي حدود الدور المنوط به شاعراً، حين يقول في أحد الحوارات التي أجريت معه: "العلاقة بالناس تبدأ بألا تفتعل الأشياء، فأنا قادم من منجم فقراء، منذ رحلت من قريتي البعيدة في جنوب الصعيد، وأنا قادم بهؤلاء الناس حاملاً على أكتافي همومهم وقضيتهم، ولا أستطيع أن أتخلى عنهم، وحين أنزل إليهم ينظرون في عيوني، وهم واضحون وأقوياء في الإدانة، مثلما في المحبة والتقدير. "

قبل أن تقرأ قصيدة الأبنودي ينبغي أن تطل على المنجز في شعر العامية المصرية، من خلال رواده عبد الله النديم وبيرم التونسي وبديع خيري وغيرهم، عندئذ ستدرك حجم النقلة النوعية، التي قفزت بها قصيدة

العامية المصرية إلى آفاق أكثر رحابة، على يدي صلاح جاهين وفؤاد حداد والأبنودي وفؤاد قاعود، كانت القصيدة لدى الرواد تقترب من فن الزجل، وترتبط بمناسبة ما، أي أنها لم تكن تعرف غير الدور الوظيفي للشعر، وتحصره في باب النقد الاجتماعي والهجاء.

حقق عبدالرحمن الأبنودي المعادلة الصعبة فارتقى بقصيدة العامية، عبر شروط جمالية ولغة وقوالب جديدة، من دون أن يتخلى عن الوظيفة الاجتماعية للشعر، بل إنه كثيراً ما جرد قصيدته من الزخارف البلاغية والصور، ليهبط بلغة الشعر إلى نثريتها وعاديتها، مثال ذلك ما جاء في ديوانه الشهير "جوابات حراجي القط": "أما بعد . . لو كنت هاودت كسوفي ع التأخير/ سامحيني يا فاطنة في طول الغيبة عليكم/ وأنا خجلان . . خجلان . . وأقولك يا زوجتنا أنا/ خجلان منكم . ./ من هنا للصبح . ./ شهرين دلوقت من يوم ما عنيكي يا فاطنة . . بلت شباك القطر/ لسوعتي بدمعك ضهر يدي. "

ولا يمكن أن نفصل صعود قصيدة العامية على يد حركة الشعراء الشباب آنذاك، وفي القلب منها الأبنودي، من دون النظر في الظروف السياسية التي كانت تمر بها مصر، والتفاف هؤلاء الشعراء حول مشروع نهضوي، يريد التقدم بالبلاد إلى الأمام، ولذا كان من الضروري أن يتطور الخطاب الشعري، ويجترح آفاقاً مختلفة، وهنا نستشهد بما كتبه الشاعر محمود قرني: "كانت ثمة حتمية لدى الشعر الجديد أن يعيد النظر في الدور الاجتماعي للفن، من دون أن يكون ذلك ضد وظيفته أو ضد قارئه، وقد كان الإدراك المبكّر للشاعر عبدالرحمن الأبنودي بحتمية إعادة النظر في القيم

الجمالية البالية الموروثة عن تركة المحافظين من الشعراء الشعبيين، استباقاً واستكمالاً لوعي أسّس له رواد العامية الجديدة. "

الشعر هو مسيرة الأبنودي الحقيقية، ومن خلاله يترجم علاقته بالناس والوطن والمرأة والأصدقاء، و"للشعر منطقه الخاص وأوامره الباطشة في اللعب على منطقة القيام بين الحس والعقل، وهي المنطقة التي تتوارد وتتواتر فيها التداعيات من دون إرادة من مبدعها" على حد قوله، وفي شعره محوران أساسيان، هما الأم والرفاق، فدائماً ما تكون أمه فاطمة قنديل حاضرة في القصيدة، حتى إن آخر ما كتبه، ونشر في الأهرام، كان أربع حلقات عن أمه التي يسميها "فاطنة قنديلة" وكان يرى أن اللغة أنثت لأجلها، كذلك هناك قصيدته الشهيرة عن عمته "يامنة. "

كانت البداية الحقيقية للأبنودي، من "أبنود" مسقط رأسه، فقبل أن تطأ قدماه القاهرة، كان يرسل القصائد إلى الشاعر صلاح جاهين، محرر باب "شاعر يعجبني" في مجلة "صباح الخير"، وفي نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٦١ نشر له جاهين قصيدة "الطريق والأصحاب" مسبوقة بمقدمة تقول: "عبدالرحمن الأبنودي يغلب على أشعاره طابع الفجيعة، وربما كان هذا هو الذي جعلني أخمن أنه مازال في عشرينياته الأولى، تلك السن التي نقف فيها أمام الحياة ببشاعتها، مصعوقين عاجزين عن تبريرها، فلا نملك إلا أن نتخبط ونرتعش وننتفض كالطائر الذبيح، لكني واثق بأن شاعرنا لن يلبث أن يرى من خلال طبقات الظلام المتكاثفة بصيصاً من النور. "

ويصف جاهين شعر الأبنودي في تلك الفترة المبكرة قائلاً: "أما عن شعر عبدالرحمن الأبنودي فهو على درجة كبيرة من التقدم، فصوره يختارها من الحياة اليومية، لكنه يستطيع أن يشحنها بالعاطفة، كما أن اكتشاف الشعر في زوايا حياتنا، التي أهملها الزمن، وإثراء عاميتنا بالتعبير الأدبي الخصب، لهو عمل وطني، قد يكون في أهمية اكتشاف البترول، في قفارنا إن لم يكن أهم. "

ظلت تيمة الأصحاب إحدى القيم العليا التي يحتفي بها الأبنودي في قصيدته، وفي القاهرة كانت الصداقة هي الكتف الذي يتكئ عليه، ففي قصيدة الأحزان العادية، وهي قصيدة موته، يقول: "ما أجمل نومة على كتوف أصحابك/ تنظر صادقك من كدابك/ تبحث عن صاحب أنبل وش/ في الزمن الغش. "

من يقرأ الأبنودي يرى علاقة مباشرة بين ما كتبه وما عاشه، فالتنقلات المهمة في حياته من القرية إلى القاهرة، ثم بناء السد العالي، ونكسة ١٩٦٧، ومن ثم حرب الاستنزاف، كل هذا جعل مصر موضوعه الأهم شعراً، ولم يكن يخشى أن تتهم قصيدته بالتقريرية والمباشرة، فقد عرف التجريب في ديوانيه "صمت الجرس" و"الفصول"، لكنها محطة سرعان ما غادرها، لينطلق شعراً في ديوانيه "الأحزان العادية" و"المشروع والممنوع" في ثمانينات القرن الماضي، من دون أن يسقط في فخ الزعيق السياسي.

لا يسقط القلم من يده في سنوات مرضه الأخير، فيصدر ديوانيه "الميدان" و"المربعات"، ويذهب إلى دار الخلود، تاركاً لنا موته في "الأحزان العادية": "قبل مروري على بعض مكان/ كنت موصي يمه أفوت/ هجمت م الحارة مجموعة نسوان/ رقعوا بالصوت/ قالوا يا عبدالرحمن/ وقدرت تموت/ وتفوت اللحم العاري المتهان/ في المدن اللي معداش منها ريحة إنسان/ أنا مت/ ومش منظور لي جواب/ متحصن بكتوف الأصحاب/ ولذلك فت/ قعد الشيخ أوصاني/ واداني كتابي بيماني/ قال لي لو جولك ملكان/ قول أنا عبد الله مش عبدالرحمن/ ودعا لي في لحظة ما يقوم للعدل ميزان/ ينوبني شيء م العفو وبعض الغفران."

عبد الرحمن الأبنودى وأيامى الحلوة

تحت كلمة إهداء.. يقول عبدالرحمن الأبنودي: (..ولكنني ــ والى أن أرحل ــ سوف أظل مدينا لقريتي «أبنود»، وسوف أظل أشكر الأقدار علي أن وهبتني تلك الطفولة الغنية التي قد يراها البعض فقيرة وقاسية ومعذبة» ثم يهدي «أيامي الحلوة.«

»الى طفلتي الحبيبتين: آية ونور والى نهال كمال.. زوجتي التي كنت أكتب ذلك أسبوعيا، فقط لتبتسم.

والى قريتي أبنود وأهلها، عشقي الأول والأخير.والى جريدة «الأهرام» والأستاذ محمد زايد رئيس تحرير ملحق «أيامنا الحلوة»، وأنا سوف أظل أشكر الأقدار التي بفضلها نقلت من مدرسة الخديوية في القاهرة الى قنا مدرسا أول في مدرسة قنا الثانوية ــ ذلك البناء الجميل الأنيق ــ عام ١٩٥٥/١٩٥٦.. وسوف أظل أشكر تلك الأقدار أن كان ضمن تلاميذي عبدالرحمن الأبنودي ــ شاعر العامية ــ وأمل ونقل ــ شاعر الفصحي ــ وأيضا د. محمد سلامة آدم.. أستاذ الفلسفة.. وغيرهم.

وأنا هنا أسجل في بداية كلمتي تحية تقدير لهذا الوفاء الذي تجسد عملا جميلا.. رائعا.. ورائدا في «أيامي الحلوة».. وكم هي رقيقة وعذبة كلمة «حلوة» لأيام كانت كلها فقراً وعذاباً وآلاماً وعناء.. ولكنها كانت ــ رغم كل شيء ــ أياما حلوة.. حملتها الىنا هذه الذاكرة الواعية.. البصيرة.. ويقال بحق إننا كلما تقدم بنا العمر نشطت ذاكرة الطفولة..

وقدمت لنا الماضي البعيد في صور ممتلئة بالحياة والحنان والحنين.. وهنا أشكر الصديق عبدالرحمن الأبنودي لإهدائي نسخة من «أيامي الحلوة» عندما التقينا في القاهرة فقد قضيت في قراءتها وفي الكتابة عنها أياما حلوة ــ بحق وحقيق ــ وأنا بعيد عن الوطن الحبيب.

في عام ١٩٥٥/١٩٥٦ سعدت بإقامتي في قنا.. هذه المدينة السعيدية التي أحببتها وأحببت أهلها وسعدت بتلاميذي في قنا الثانوية.. عبدالرحمن الأبنودي وأمل دنقل ومحمد سلامة آدم وأبوالوفا القاضي.. وغيرهم.. وكنت أدفعهم الى الكتابة عن قراهم.. ومازلت أحتفظ بما كتبه لي أمل دنقل في ورقتين من كلمات تتردد في قريته «القلعة» ومعانيها كذلك هذه المجموعة الكبيرة من المواويل سجلها لي محمد سلامة آدم «أستاذ الفلسفة».. وفي ذلك العام السعيد أرسلت للأستاذ يحيي حقي ــ مدير مصلحة الفنون ــ حكاية «ياليل يا عين» مع اقتراح بتقديم لوحات شعبية مع هذه الحكاية.

وأكرر أني أحببت قنا وأهل قنا وكل الأماكن في هذه المدينة.. ولقد ترددت علي معبد دندرة أكثر من مرة.. كما سعدت بمشاهدة مولد سيدي عبدالرحيم القنائي بكل ما فيه من مأثورات ومشاهد ولوحات وألعاب شعبية. ولم أبق في مدينة قنا إلا عاما واحدا.. وقال لي صديق قنائي: إن من أحب قنا ينقل منها سريعا.. وكنت فعلا قد أحببت قنا.

قرأت «أيامي الحلوة» في هذه الطبعة الأنيقة التي صدرت في مكتبة الأسرة.. هذا المشروع العظيم، ولا أكون مبالغا عندما أقرر أن هذا العمل

من أهم إصدارات مكتبة الأسرة، وذلك لأنها تدفع القارئ والقارئة، لأن يسجل ــ هو أو هي ــ ذكريات القرية التي ولد أو ولدت فيها، مثلما فعل الشاعر عبدالرحمن الأبنودي.. وفاء لقريته "أبنود"

كانت شخصية الأم ــ فاطنة قنديل ــ أجمل افتتاحية لهذا العمل الرائع «أيامي الحلوة».. هذه الأم المصرية التي جاهدت الجهاد الحسن.. وبذلت ما في وسعها.. لإنقاذ ابنها ــ عبدالرحمن ــ من الموت.. وكيف استفادت هذه الأم ــ الواعية البصيرة الخبيرة ــ من كل ألوان الطب الشعبي التي ورثتها من أيام رب الطب المصري امنحتب «وهو أيضا المهندس العظيم الذي صمم هرم سقارة المدرج، وافتتح به عصر الأهرامات.. المجيد» عملان بطوليان قامت بهما فاطنة قنديل.. أما أولا وزوجة ثانيا..

أما عن الأم فيحدثنا عن عملها البطولي ابنها عبدالرحمن في الفصول عن: المريض الفولكوري: «في أوائل الخمسينيات لم نكن قد رأينا الطبيب ــ في قريتنا ــ رأي العين، وإنما كان طبيبنا ميراثنا الفولكلوري مما خلفه الأجداد للأحفاد من وصفات وخبرات، مواد مصنعة من بيئتنا الى جانب أوراق الأشجار ونبات الحقول وحجارة الأرض المعطاءة ولبن بز الأم.. قبل أن تبني حكومة الثورة «الوحدة المجمعة» وتعين لنا طبيبا خاصا بأهالي قريتنا أبنود بمحافظة قنا» وعن مولده يقول:

«ولدتني أمي في الحسومات، والحسومات حسب التقويم القبطي الذي مازال أهلنا يتبعونه هناك جميعا، أيام تسعة، تأتي في وقت معين من السنة

القبطية، من يولد فيها من النادر أن يعيش، إنسانا كان أو حيوانا، وإذا عاش فإنه يعيش مثلي معلولا مكلولا مملولا محلولاً».

ويقول: «كنت ضعيفا، نحيلا وعليلا مزمنا، ضئيل البدن، أصفر الوجه، لدرجة أن أمي كانت ــ وأنا طفل لا أعي ــ تربط ركبتي المنحلتين بأشرطة من القماش تمسك الساقين اللتين تشبهان أعواد البوص كي لا تنفرطا»، ولكن من أين جاءت للأم هذه الخبرة.. يقول عبدالرحمن الأبنودي: «رأت أمي في أيام الحمل والوحم حمارة ولدت جحشا رفيعا عليلا..

رأت أمي الجحش الهزيل، ورأتهم يربطون ركبتيه بحبال كي تتماسكا، لذلك حين أنجبت ابنها السقيم ــ فيما بعد ــ ورأته غير قادر علي استعمال ركبتيه استوحت فكرة حبال الجحش، ونقلتها من ركبتي الحيوان الى ركبتي الإنسان»، ويعترف عبدالرحمن الأبنودي بفضل أمه وحرصها علي علاج ابنها بكل ما تملك من خبرة ومن حب ومن إصرار:

«كانت فاطنة قنديل أمي تفخر بأنها حققت ــ بي ــ أكبر معجزة في الدنيا وهي أنها أبقتني علي قيد الحياة، في قتال مرير وحرب ضروس ضد الطبيعية وقوانين الوجود وبخبرتها الطيبة النادرة ووعيها بتجارب السابقين.. هذه الأم التي تخوض النار ــ حقيقة لا مجازا ــ من أجل إنقاذ طفل لديها عشرة أفضل منه.. إنها الحياة»

ويقدم لنا هذا الابن الذي كله وفاء هذه الأم في مشهد من مشاهد مر بها ضد المرض.. ضد الموت وكأن كلماته قصيدة من نثر: »كانت تصعد بعد أن يتشرب الغروب استمراره المعتق، لتلمع نجوم السماء

تحت عيون الرب، فتضيء جسدها الذي يتصاعد منه الدعاء، تكشف رأسها، تناجي وتدعو وتتوسل وتعاتب، لكي يستجيب الرب.« ويقول أيضا: «إن ما ناجت به فاطنة قنديل الرب فيض من الأدعية وأطنان من الطقوس، مارستها بجنون، خاطبت الرب في الصباح والمساء. خلعت ملابسها وتطهرت وخرجت الىه في قلب الليل وعند استقبال الفجر، تتوصل الىه أن أحيا وأن أعيش. وقد استجابت لها السماء وعشت كما ترون»

هذه الأم المصرية الصميمة تجسد في سلوكها هذا وفاء إيزيس وعنادها وإصرارها ورعايتها ابنها حورس وقفت بجانبه حتى انتصر علي عمه ست «وأنا أقول ــ اجتهادا ــ إن ست هو الشيطان..» الذي قتل أباه أوزيريس.. وأقول أخيرا.. إن فاطنة قنديل هي أيزيس الأبنودية. وأكتفي بهذا لتصوير بطولتها.. أمّاً.. أما بطولتها كزوجة.. عندما زوجها أبوها ــ الحاج قنديل وهي في الحادية عشرة من عمرها.. وأنا هنا أترك فاطنة قنديل تحكي مأساتها فلقد سجل لنا أبنها ــ مشكورا ــ هذه المأساة بصوتها ــ قبل رحيلها.

وقبل رحيل أمي بقليل دعوتها الى منزلي بالقاهرة، واستجابت.. وسألتها أن تقص القصة من أولها الى آخرها»

ويقول عبدالرحمن «قصت وقصت وكأنها تعود للماضي فعلا، كأنها تعبر السبعين عاما في خطوة» ولعل هذه المأساة أن تكون أروع ما قدمه الشاعر عبدالرحمن الأبنودي في (أيامي الحلوة) ».

تصف لنا هذه «المرأة الطفلة» ولقد أصبحت في الثالثة عشرة.. كيف فكرت في الهرب والفرار في ليلة الدخلة.. بعد دخلة زوجها.. تقول إرجاء أن تقرأ القاف جيما.. متي يمكنك الاستمتاع بموسيقي لهجة هذه الأم الأبنودية.

بعدما حصل اللي حصل يا ولدي نام الراجل وأنا أتكورت زي دودة الطعم لما جاني نوم والدنيا بتلف بنا.. ماعارفة أنا مين ولا فين. حسيت إني وسط حلقة جزارين، إن كانوا رجاله ولا نسوان كلهم جزارين. الفزع راكبني. خايفة ومنفوضة كإن فيا «مراريا»

جاني هاتف قاللي قومي يا فاطنة.. قمت.

قاللي اتشعبطي الحيطة.. اتشعبطت.

قاللي نطي بره.. نطيت.

قاللي ارمحي....

وكأن ورايا عشر غيلان بيرمحوا ورايا، الخوف اللي في الدنيا ساب الدنيا وسكن في قلبي أرمح وأرمح.. بيني وبين بيتنا تلات بلاد.. أرمح وأنا بدمي، والخلاخيل في رجلي تقول: «ش ش» تزود خوفي خوف.. لحد ما وصلت بيتنا.. كان دمي اتصفي وركبي مش شايلاني، وهدوم الدخلة اتصبغت دم.

لما وصلت بيتنا ركبني الخوف تاني.. أقوللهم إيه؟ واعيد لهم ايه؟ وإذا رجعوني تاني السلخانة؟ وتستأنف فاطنة قنديل حكاية مأساتها.. وهي

تجيد الحكي الى حد بعيد فإنها بفطرتها النقية السليمة أراها فنانة أصيلة.. تقول «لفيت حوالين البيت واتشعبطت السور ومن فوقه نزلت من علي نخلة.

طب أعمل إيه وأروح فيه؟ طبعا الدنيا ليل.. وأمي وأبوي نايمين.. أروح فين؟ أروح فين؟ البيت كله مكشوف ــ لقيت قدامي ــ وأنا حريص علي أن أنطق القاف جيما.. حتى أكوت قريباً من لهجة فاطنة.. وكم أود أن أسمع التسجيل.. ولعلي يوما أسمعه ــ بنية الفروج.. بشويش فتحت الباب، وزرقت ورديته وراي الباب ورحت في ميت نومة.. صبحت الصبح علي أمي بتفتح باب العشة تطلع الفروجات وتلم البيض.. مديت إيدها لقيتها حتلمسني. قلت لها: أمّه أوعي تخافي. أنا فاطنة. الولية دبت علي صدرها، وقعدت تلطم علي خدودها لما خروا دم. وتدور وتلف حوالين نفسها وتقول:

يا عاري.. يا مراري. هربتي يا فاطنة؟ وأقول إيه لابوكي، ويقولوا علينا إيه الناس؟ وباقي الكلام لم سمعته لأني كنت غمضت وسحبتني الغيبوبة وسحبت روحي..

شهرين لم حاسة بالدنيا اللي حواليا.. اللي تطيب، واللي تبخر، والتي تدعي.. ده داخل وده طالع.. وأنا مش هنا.. لا عدت فاطنة ولا باطنة. وجوزي وناسه لموا بعض وجونا يعرفوا الموضوع. وراحوا ما جوش.

وأنا عمت في بحر الموت اللي ما منه رجوع.

يقول عبدالرحمن الأبنودي:

»هكذا رقدت فاطنة قنديل وحار من حولها ودار، وأسلم أمره فيها لله. فقط «ست أبوها» التي ظلت تحوم حول الجسد كعصفورة اختطفوا صغيرها، تحرس قلب وحيدتها، تصب السوائل في الفم فتسيل علي جنباته. ونعود الى تسجيل فاطنة قنديل:

«يظهر يا وليدي ــ ما أرق التصغير هنا ــ.. كان عمري طويل. مكتوب لي أعيش لحد ما أخلفكم واحد ورا واحد.« وتعيش فاطنة لتقوم بنفس دور امها «ست أبوها» وتعمل المستحيل لإنقاذ ابنها عبدالرحمن من موت أكيد.

وتصف فاطنة عودتها الى الحياة في هذه اللغة الشعبية الجميلة.. البليغة:

«شويه شويه بربشت، فتحت عينيا أشوف لك الواحدة أربعة. ما عارفه يميني من شمالي. لكن الحريم من حوالين السرير فرحوا، واعتبروا فتح عيني هدية من عند الله، أكرم بها الأبوين الصالحين..» الحاج قنديل و«ست أبوها».. بعدها بأيام جلست.

بعدها بأيام جلس الوالد قبالي وقال: «يا فاطنة، الحمد لله، ربنا خد بيدك وقمتي. الحمد لله كمان أن ناسك ما غضبوش منك ولسه شاريينك «هذه الكلمة تجسد فعلا هذا الزواج الشرعي.. وهي كلمة شراء» أظن مادام ربنا رد لك عافيتك نقوم نروح لهم.. «ألم يفكر الحاج قنديل هذا ــ هذا الرجل الصالح ــ لماذا لجأت الىه ابنته الوحيدة فاطنة؟»

وتستأنف فاطنة حكايتها وحوارها مع أبيها:

«غاب النور من عيني واتمنيت الموت. قلت له: يابا أنت بتكرهني قد كده؟ قاللي: يا بنتي كلام الناس يقولوا: هّملت بيت جوزها ليلة دخلتها. لابد ما في الأمر إنّ.. وانتي عارفة إن أنا وأمك مالناش في الدنيا إلا شرفنا.. قلت له «واستمرار الحوار بين الحاج قنديل وابنته يشير بوضوح في هذا الجو الريفي التقليدي الى ما يتمتع به هذا الرجل الطيب من سماحة.. ولكن الخوف من كلام الناس.. والخوف من العمدة.. ربما.. وراء تردده أمام ابنته»

قلت له: لو ودتني يابا هارجع.

لو ودتني أرجع..

المرة التالتة حارمي نفسي في بير.. أنا لا متجوزة ولا عاوزة جواز »هذه الكلمات الواضحة الصريحة الشجاعة تعبير عن تمرد ورفض لطاعة الوالدين.. وعن ثورة أيضا» قاللي: و ماله. أو ديكي وأقوللهم وأترجاهم يدوكي لي.. واذا حصل أجيبك.

-يابا تترجاهم كيف؟ أنا بنتك.. أنت مش هم.

قاللي: دلوك إنتي مش قول الناس، دلوك أنني منهم هم وأنا إديتك لهم وبعد هذا الحوار تستأنف فاطنة قنديل حكايتها: «قبل ما أخف وأملك جتتي زين، شالني علي دراعينه زي السمكة الميتة وشق بيا البلد قدام الناس عشان يداوي عملتي اللي عملتها لما نطيت حيط الدار بدمي ليلة دخلتي... آخر البلد ركبنا ركوبة كانت مستنيانا ومشينا التلات بلاد لحد بيت جوزي

يظهر ده كله كان علي ميعاد، لأنه كان هو والرجالة كلهم قاعدين قدام الباب مستنيين..

وقفوا لما شافوا أبوي.. اتقدم بيا وقال لجوزي.. لعنة الله عليه..: ما علش يا فلان.. البنت صغيرة وماتدركش.. فإنت تسامحنا وتقبلها مننا تاني».

وتعلق فاطنة علي هذا المشهد الذليل: «الحاج قنديل- الوحش- كان صوته بيترعش كأنه بيشمت.. بيتوسل، ويترجي بحق وحقيق»

ثم يستمر الحوار بين الرجلين:

قال له الراجل: ما علهش يا حاج.. المسامح كريم.. خديها يا نجية.. »شالتني نجية من فوق دراعين أبوي ودخلت بيا الدار.. وسابت الرجالة للرجالة مشي أبويا وهملني.. من هنا وأنا مسكني العيا من هنا.. نار وجت في مخي وصدري وهدومي.

كسرولي.. النسوان بصل ودعكوني.

جابولي سفوف وسففوني.

رحت لك في سكرة ما فقت منها إلا في بيت أبوي.. رجعوني أموت عند أمي».

وتنتهي هنا مأساة فاطنة.. ولكن لهذه المأساة نهاية سعيدة.. تضعها «ست أبوها» يقول عبدالرحمن الأبنودي: «قالت «ست أبوها» إنها توسلت للرجل أن يطلق ابنتها..

قالت له إنها لم تعد تلك الصبية المرعرعة التي دخلت بيته، لم يعد فيها شيء يتزوجه.

قال له: لا تظلم نفسك وابحث عن عروس حقيقية»

وتحكي لنا ست أبوها كيف وفقت في إنقاذ ابنتها.. « قعدت ازنلك في ودانه وأكرهه في البنت، لحد ما قال: «ابعتوا جيبوا المأذون» وتقول ست أبوها وهي تحكي لحفيدها عبدالرحمن: «والله يا وليدي دفعت حق الطلاق.. اشتريت بتي تاني. ولمت الحاج قنديل.. ما كان من الأول! ».

وتصف لنا هذه الأم كيف عاونت ابنتها أن تستعيد صحتها.. «وقعدت أأكل وأشرب لحد ماهه الجسم نطق واللسان اتحرك وقامت فاطنة تقعد جنب الفرن وأنا باخبز، وتهش الفروج اللي ممكن يدوس علي العيش الشمشي اللي بيخمر في الشمش كل يوم ألاقي الدم يقرب من خدودها شعرة شعرة، لما عرفت إنها مش حتشوف وش العفريت اللي اتجوزته.. تاني ابتدا عودها يتفرط. لكن فضلت كتير قبل ما تفتح حنكها وتتكلم. وقعدت شهور قبل ما تفتح حكنها.. وتضحك».. ذلك أن الضحك- من القلب- علامة الصحة المعنوية والمادية.. يعني دليل الصحة النفسية والصحة الاجتماعية.. والصحة الجسمية..

وتقول فاطنة قنديل لابنها عبدالرحمن: «لم أعش حرة كثيرا. جاء والدك وكان طالبا في المعهد الديني ليطلب يدي...» ويعلق عبد الرحمن علي كفاح فاطنة قنديل وإصرارها وعنادها في سبيل حريتها وكرامتها: «كلما قرأت مقالاتهن أو سمعتهن في التليفزيون أو في تجمعات المرأة التي

تسعي للتحرر تذكرت فاطنة قنديل... ... وأعرف في أعماق يقيني أنها كانت في طليعة المرأة المناضلة في مصر..» وأنا معه بكل قلبي وعقلي.. وأقول إن هذه امرأة مصرية يفتخر بها قاسم أمين.. وأكرر ما سبق أن قلت إن فاطنة قنديل بحق إيزيس أبنودية.

وفي المقدمة يقول عبدالرحمن الأبنودي: «لأني خرجت من القرية وكأني عصارتها فقد حملت تاريخها وباطنها ووجهها في الضمير- دون قصد- وسرت في الحياة، فإنني في هذه المشاهد التي يحويها هذا الكتاب، إنما أحاول القبض علي جوهر الروح ولب الفكرة التي تحكم الإنسان المصري الأصلي الذي لم يفقد الصفات القديمة للإنسان النيلي القديم بعد».. وكلمة «بعد» الأخيرة تشير الى فوق- وخوفنا- أن تضيع- يوما- هذه الصفات القديمة للإنسان النيلي.. «لا سمح الله».

في «أيامي الحلوة» تحدث عبدالرحمن الأبنودي عن ألوان نشاطه- وهو طفل- في قريته «أبنود».. راعيا للغنم وصائدا للسمك.. كما تحدث عن أغاني النساء وعن المتسولين.. وعن الكلاب.. حتى.. ولكني أود أن أتوقف عند «راعي الغنم» و«صياد السمك».. وعند «المتسولون».. إذا سمح هذا الفراغ.. الذي يكاد أن يفيض!

يقول عبدالرحمن الأبنودي:

«غناء هذه القرية وجه مكتمل الملامح لكل أشكال الحياة فيها، لكل أنواع التداخلات المتشابكة التي تشكل أسباب استمرارها من علاقات اقتصادية أو اجتماعية أو فكرية أو روحية. القرية بكاملها موجودة

ومتجسده في غنائها» ويقول عن غناء هذه القرية.. يردده الرجال والنساء والأطفال.. أولاد وبنات: «إن غناءهم نوع خاص جدا من الوثائق الأمينة.. سطروها هم أنشأوها بإرادتهم الكاملة واختيارهم الحر في غفلة عن القوانين التي حاصرتهم بها الأيام أو حاصروا هم أنفسهم بها... ... إنها ثورة الإنسان المغني علي نفس الإنسان حين لا يغني.. ثورة علي النفس وعلي الآخرين»

ويقول عن هذا الفلاح المصري: «بني فلاحنا المعاصر أبنيته الفنية من الموال الى أغنيات العمل الى أهازيج الأعراس و«عديد» النائحات الى أذكار الرجال ومساجلاتهم الشعرية الى الملاحم وغناء الأطفال أولاد وبنات. لقد قسم هذه الأبنية الفنية بالعدل والقسطاس بين تسجيل الحياة بتفاصيلها وتخيل ما بعد الموت، لتصبح الأغنية سجله ومؤنسه»

يقص علينا تفاصيل صيد السمك، زمان: «مع الفيضان كان الخير يأتينا محملا بأسماك الجنوب.. ويجب أن تعرف أنه لم يكن هناك «سد عالي» أو «بحيرة ناصر» لذا فالأسماك تأتي من الجنوب مباشرة من أفريقيا. كنا لا نحس لهيب الشمس.. نحن أبناء الشمس والنيل» ويحدثنا حديث الخبير عن أسماك النيل: «كان النهر يغص بعشرات الأنواع من السمك. لكل منها سلوك وطريقة في الغمز.. بعضها غبي وبعضها ذكي كالقرموط.. إن أجمل محاورة شقية متعبة هي معركة الذكاء بينك وبين الكائن العبقري المسمي «القرموط».. ويحدثنا عن سمك القرقار «رجاء نطق القاف جيما»: «هو السمكة الوحيدة التي تبكي وتستنجد حين تخرجها السنارة. كل الأسماك تقاوم أو تستسلم لمصيرها صامتة.. القرقار هو الوحيد الذي يملك صوتا..»

وهنا يتذكر الشاعر عبدالرحمن الأبنودي: «السيرة الهلالية».. التي اعطاها من عمره ربع قرن ليجمعها ويحققها ويقدمها في كتابه الضخم «السيرة الهلالية».. الذي صدر- أيضا في مكتبة الأسرة- يقول: «شاعر السيرة الهلالية أراد أن يصف الموسيقي التي يصدرها حذاء «الجازية الهلالية» جميلة جميلات العرب.. بحث عن الصوت الفريد الذي لا يوجد له مثيل ليشبه به الصوت المنغم الصادر عن حذاء«الجازية الهلالية» فلم يجد سوي هذا الصوت النادر والوحيد الصادر- خلافا لكل أسماك النيل- من سمكة القرقار:

لابسه توب أخضر برسيمي

وراسمه عليه غلايين النار

لابسه توب شمني وارخيني

وحلق وازبط من قدام

لابسه جزمة بمزيكة

عما تصرخ شكل القرقار.

ويقول عبدالرحمن الأبنودي مفضلا الصيد في النهر علي الصيد في البحر: «إن عشقي للنهر والصيد في مائه الطمي جاءني من بلاد نهرية.. نحن أبناء النهر.. كلنا الكبار والصغار كنا نعتبر النهر هو الوالد والراعي والجدار المهيب الذي يسند عليه الصعيد ظهره لذا فإن كل خبرة سوف

نكتسبها لتشكلنا فيما بعد إنما هي نابعة مباشرة من صلتنا بوالدنا العظيم: نهر النيل»

وعن حياته طفلا- راعيا للغنم- يحدثنا عبدالرحمن الأبنودي في بساطته وصراحته: «في المرعي عرفت لعب الطفولة الشاق المهلك الذي تتخرج منه رجلا بعد سويعات..

في المرعي ارتبطت بالطبيعة ارتباطا وثيقا لا فكاك منه، لتدخل مفردات مكوناتها وما وهبته للإنسان في عمق تلافيف معارفي وضميري السري، لم تعد هناك نباتة علي وجه الأرض لم أعرفها» ويقرر هذه الحقيقة «الوعي إجباري، لأن عدم الوعي بما علي ظهر الأرض من نبات- علي سبيل المثال- قد يؤدي الى كارثة»

ويختم فصوله عن «راعي الغنم» بهذه الكلمات عن مهنة الرعي: «إنها المدرسة الأولي- أو قبل الأولي- التي يتعلم فيها الراعي الصغير «الحبو» علي درب الصعود نحو المغني الذي سيكونه بعد سنوات قلائل خلفا لسواقي وتحت الشواديف وفوق كراسي النورج، أو نحو الشاعر الذي سوف يكونه بعد أعوام وأعوام»

وما دمت قد تناولت حديث عبدالرحمن الأبنودي عن «راعي الغنم» فلابد أن أحدثك عن هذه الشخصية الأبنودية المتصلة اتصالاً وثيقا بالطفولة ورعي الغنم.. وهو «عم عزب الأعمي».. يقول عبدالرحمن: «كان «عم عزب الأعمي» متخصصا، في كل ما يتعلق بالطفولة والصبا، ويشكل اهتماماتنا في ذلك الوقت: يبيع الصنانير، الفخاخ «القلاليب» لصيد الحمام

واليمام والعصافير.. إلا أننا كنا مهتمين بعم عزب الأعمي لسبب مختلف تماما- سبب متعلق برعي الغنم، كان عم عزب الأعمي الى جانب بيع العسلية والفخاخ والصنانير يتاجر في «القرض» لذلك كنا نحن الصغار نتكوم كل جماعة تحت شجرة سنط كبيرة نكوم أكواما ضخمة من الطوب ونبدأ رجم الفروع الشوكية لنسقط قرضها لنجمع في النهاية جبل القرض هذا لنعبئه في جوال كبير يعذبنا نقله من المرعي الى السوق.. ونبيعه لعم عزب نظير نصف قرش أجرا لثلاثة أو أربعة رعاة.. لم نكن قادرين علي فك نصف القرش وتوزيعه علينا إلا بشراء العسلية والصنانير من عم عزب الأعمي.

وبمناسبة شجرة السنط أذكر هذه الأبيات التي تقدم ملامح الحكمة الشعبية.. والسلوك الشعبي: «الصمت بالصمت والعلم حازوه بالصمت من زرع لك شوك ازرع قصاده سنط ومن زرع لك سنط ازرع قصاه ورد الصمت بالصمت والعلم حازوه بالصمت»

وتنتهي «أيامي الحلوة» بالحديث عن هذا البطل الأبنودي «أبو عنتر» وهو يردد هذه الأبيات التي تقدم ملامح الشخصية الأبنودية التي تقوم علي الحرية والإباء وكرامة الإنسان:

أوعي تجول للندل يا عم

ولو كان علي السرج راكب

ولا حد خالي من الهم

حتى جلوع المراكب

وهنا تذكرت تلك الأبيات التي سجلها الأبنودي في مقدمة «السيرة الهلالية»:

طبيب الجرايح قوم الحق

وهات لي الدوا اللي يوافق

فيه ناس كتير بتعرف الحق

ولاجل الضرورة توافق

وكم هي قاسية ومريرة هذه النهاية: ولأجل الضرورة توافق وما أبعد الموقف الاستلامي الذليل من حكمة البطل أبو عنتر وهذه الدعوة الى العزة والكرامة والاعتزاز بحرية الإنسان»

أوعي تجول للندل يا عم

ولو كان علي السرج راكب

وأقول أخيراً بعد هذه الرحلة التي لعلها طالت إن «إيامي الحلوة» أهم دراسة قدمت عن قرية مصرية.

قدم لنا عبد الرحمن الأبنودي قريته أبنود.. رجالها ونساءها وأطفالها.. وحيواناتها وأسماكها.. كما قدم لنا الفلاح الأبنودي بكل ألوان نشاطه وكل ما يساعد هذا الفلاح في زراعته وفي تجارته قدم لنا الشادوف

والساقية بالتفصيل والتفسير قدم لنا قرية أبنود بكل ظواهرها ومظاهرها الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية.

قدم لنا أبنود بكل سماتها وملامحها وقسماتها.. وهي دراسة رائدة.. رغم أنها تبدو في صورة روائية.. بخاصة اعترافات البطلة الأبنودية فاطنة قنديل.

وهذه الدراسة – أيضا – درس علمي وأخلاقي وإنساني في الصدق والوفاء وكل صور الولاء والانتماء للوطن الصغير.

وهو – هذا الكتاب – إضافة مهمة الى مكتبة الفولكلور المصرية والى الدراسات الاجتماعية كان علي أن أنظر – في صبر وأمل – مايقرب من أربعين عاما حتى أجد حلمي عن مشروع دراسة القرية المصرية يتحقق في هذه الصورة الرائعة والجميلة.. ولقد نشرت مشروع دراسة القرية المصرية في الستينيات في عدة صحف ومجلات مصرية.. كما نشرته في باب «ندوات» الذي كنت أقدمه في المجلة العزيزة «الشهر» وكان يصدرها ويرأس تحريرها الصديق الراحل سعد الدين وهبة، ولقد سعدت فيها بزمالة وصداقة الكاتب القدير محفوظ عبدالرحمن.. الذي أتابع أعماله بكل الحب والتقدير والإعجاب.. وبخاصة مسلسل «أم كلثوم»، هذا المسلسل الذي قدم الممثلة الجادة والممتازة صابرين..

وأخيرا أقول مع «أبو عنتر» أوعي تجول للندل يا عم لو كان علي السرج راكب.

صلاح جاهين والأبنودى

لم يكن صلاح جاهين يحلم وحده، ولكنه آثر أن يشرك الشعراء الشباب فى أحلامه، فراح يقدمهم تباعا فى منبر مهم آنذاك، وهو مجلة «صباح الخير»، فقدم الشعراء سيد حجاب وفؤاد قاعود وفريدة إلهامى ورزق هيبة وفؤاد بدوى ومحمود عفيفى وغيرهم، وكان من بين هؤلاء الشاعر عبد الرحمن الأبنودى، وقد نشر له قصيدة «الطريق والأصحاب» فى ١٦ نوفمبر ١٩٦١، وكتب لها مقدمة جميلة، أنشرها كاملة هنا:

شاعر عامية يعجبنى:

من بين مئات الرسائل.. أترقب رسائله..

تصلنى أحيانا على ورق أبيض، مقطع سلائخ طويلة كأعمدة الصحف، مكتوبة بإتقان شديد على الآلة الكاتبة.. وأحيانا بالحبر على ورق مسطر، مطبوع على رأسه اسم تاجر خضار وفواكه وقومسيونجى، بمدينة قنا.. وأحيان على «فولسكاب» كبيرة ذات هوامش واسعة.

على أنه مهما اختلفت أشكال رسائله، فهى لا تحمل إلا شعرا، ونادرا ما يوجه لى كلاما فى أى من هذه الرسائل.. لذلك لا أكاد أعرف عنه شيئا كثيرا.. حتى عمره لا أعرفه.. ولكنى أرجح أنه ما زال فى عشرينياته الأولى.

كل الذى وصلنى أنه يعمل موظفا كتابيا فى محكمة قنا الابتدائية.

يكفى...

سنتخيل الباقى.. فحياة شاعر رقيق حساس، يكسب دخله المحدود من دوامة محكمة إقليمية متربة، فى مدينة قائظة ملتهبة.. شىء يمكن تخيله بسهولة أن نتخيله.

وعبد الرحمن الأبنودى يغلب على أشعاره طابع الفجيعة.. وربما كان هذا هو الذى جعلنى أخمن أنه ما زال فى عشرينياته الأولى.. تلك السن التى نقف فيها أمام الحياة ببشاعتها.. مصعوقين عاجزين عن تبريرها.. فلا نملك إلا أن نتخبط ونرتعش وننتفض كالطائر الذبيح.

ولكنى واثق أن شاعرنا.. لن يلبث أن يرى من خلال طبقات الظلام المتكاثفة، بصيصا من النور.. برغمه على أن يحب شيئا ما.

وعندما يحب هذا الشىء.. سيكون أقدر على الغناء وعلى الابتسام.. وعلى البكاء أيضا.

أما عن شعر عبد الرحمن الأبنودى فهو على درجة كبيرة من التقدم.. فصوره يختارها من الحياة اليومية.. ولكنه يستطيع أن يشحنها بالعاطفة.. فنكتشف -بفرحة- كم هى موحية وعميقة هذه الصور.

إن اكتشاف الشعر فى زوايا حياتنا التى أهملها الزمن.. وإثراء عاميتنا بالتعبير الأدبى الخصب.. لهو عمل وطنى قد يكون فى أهمية اكتشاف البترول فى قفارنا.. إن لم يكن أهم)

هكذا كان تقديم الشاعر الكبير، للشاعر الشاب، وظل الشاعر الشاب دائما محافظا على مودة وحميمية هذا التقديم، ولا يخلو حوار مع الأبنودى، من الحديث عن عظمة وذكاء ورقة وجدعنة صلاح جاهين، أيا كان الحوار، لصحيفة، أو مع صديق، وكذلك تقدير الشاعر فؤاد حداد له، وإخلاص الأبنودى لعمه فؤاد حداد، وترديده لأشعاره، والكتابة عنه دوما، والحديث عن هذين الشاعرين فى نبل لا تعرفه سوى الأرواح الصافية والنقية.

كان الأبنودى يكتب الشعر كثيرا، وإذا لم يجد ورقا، كان يكتب على ترابيزة المقهى، هو وأمل دنقل، فالشعر كان يطارده أينما كان، وأينما ذهب، وهناك من كتب عنه قبل أن يصدر ديوانه الأول، وهو الكاتب والقاص الراحل فاروق منيب، وذلك كان فى جريدة «المساء»، واعتبره من أهم الشعراء القادمين، وأفرد له صفحة كاملة فى الصحيفة، وهذه كانت سابقة لم تعرفها الصحف، أن يكتب ناقد ومبدع مرموق، هذه المساحة كلها، عن شاعر لم يصدر ديوانا بعد، وربما ذلك كان يثير قدرا من الغيرة عند آخرين، وكان الأبنودى يواجه هذه الغيرة بالمزاح والمرح والدعابات التى تحرج خصومه، ولا أنسى تعليقه على الإشاعات التى كان يطلقها خصومه فى الفترة الأخيرة، ويطلقون إشاعة عن موت كاذب له، فكان يقول لى، إن جماعة بوكو حرام هم المسؤولون عن هذه الإشاعة.

وجاء بعد صلاح جاهين، وفاروق منيب، مجايله ورفيقه وحبيبه الراحل سيد خميس، الذى كان يبذل كل مجهوداته من أجل رفعة الأدب والثقافة، وكان مفتونا بشعر عبد الرحمن، فأنشأ دار ابن عروس، ونشر فيها ديوانه الأول «الأرض والعيال»، وكتب دراسة نقدية، تعتبر من أهم ما كتب عن

الأبنودى، وألحقها بالديوان، وظل خميس متابعا للأبنودى، وراعيا نقديا له، ومنتصرا لشعره ولتجربته بشكل مطلق، وكتب عنه مرات ومرات، وكان عبد الرحمن يعتز بخميس إلى حد بعيد، ويعتبره أحد أساتذة نقد شعر العامية فى مصر.

وإذا كانت علاقة الأبنودى بالشعراء مثل حداد وجاهين، والنقاد مثل سيد خميس ويحيى حقى الذى اعتبره «خلاصة الشعراء»، أو أنه مثل «فراكة العجين»، والتى تحمل كل روائح الخبز، فعلاقته بالشعراء العرب كانت قوية ومتينة خصوصا علاقته بمحمود درويش، وعندما جاء درويش إلى القاهرة، كان طلبه الأول أن يرى الأبنودى، ويصاحبه، ويعرف القاهرة بعيونه.

الأبنودى وعبد الحليم حافظ

يروي الخال أن العندليب عبدالحليم حافظ، حلم قبل رحيله بفترة قصيرة، بشباب يلوحون بعلم مصر في ميدان التحرير، وهم يغنون عدى النهار. هل كان يستشرف ثورة أتية، يناير ٢٠١١، لن يعايشها؟

مع الأغنيات الثلاث: موال النهار، المسيح، يا بيوت السويس، يقيم الأبنودي مستريحاً في الوجدان الشعبي. خرجت كلها من قلب الأسي والهزيمة بعد ٦٧، الأولي والثانية بصوت عبد الحليم، ومن ألحان بليغ حمدي، والثالثة أيقونة صوت المقاومة محمد حمام، الثلاثية تلك خلدت البطولة الأسطورية لأهل مدن القناة خاصة السويس خلال حرب الاستنزاف.

حملت الأغنية الأولي "موال النهار" من الصور الشعرية، مالم تعرفه أغنية وطنية أخري.. "بلدنا ع الترعة بتغسل شعرها "، ثم انتقاد عبد الناصر شخصيًا "جانا نهار ما يقدرش يدفع مهرها"، وكان الزعيم الراحل يحب سماعها رغم ذلك.. وحين تغيب لفترة عن أثير الإذاعة، يطلب سماع "الأغنية".. فيفهم القائمون عليها مقصده. تقبل إنتقاده فيها، ورحب ببشارتها.. "بلدنا تغني موال النهار".

العندليب، أيضاً، يمازح الخال بها، قائلاً له: "كتبت موال النهار"، وهذا يكفيك. وظل يغنيها، مع "أحلف بسماها.." في كل حفلات ما بعد يونيو٦٧. وما تزال لـــ"عدى النهار" زهوتها في وجدان الأجيال الجديدة، التي لم

تعرف لا الهزيمة ولا النصر بالمعنى العسكري المباشر، لكن صدق التجربة الفنية أسر القلوب والعقول.

مع "المسيح" تلقى عبد الحليم حافظ تهديدات قبل غنائها في قاعة "ألبرت هول" في لندن، أواخر الستينيات. وفيها كثف الأبنودي عشقه لفلسطين الذي سيلازمه طوال حياته، بوصفها قضية العرب الأولي.

"يا بيوت السويس"، أيقونة فدائية، تتماس مع تضحيات أهلها، الذين عاش وسطهم الخال على ضفة القناة، ليخرج منها بديوانه "وجوه على الشط"، الذي قدمه في حلقات إذاعية تحتفي ببطولات أهل القناة في حرب الاستنزاف، ودورهم في رفع الروح المعنوية لجنود الجيش وقتها.

لحنها الموسيقار إبراهيم رجب وصدح بها محمد حمام وسط حشود الناس وجنود وضباط الجيش المصري ، حفظت الأغنية كوثيقة تاريخية للوجدان الشعبي ذكري صمود السويس التي عبرت عن الموقف الوطني ورفض العدوان رغم الدمار الذي طالها من الحرب ورغم الهزيمة، وظل الأبنودي حريصًا على تبجيله لتضحيات جيشنا وأهلنا في القناة، وكثيرًا ما قال في أحاديث منشورة، أن أهل القناة الذين عانوا كل مرارات الحرب والتهجير والتدمير، هم من احتضنوا الجيش وعرفوا قيمته في الوقت الذي كان المثقفين في القاهرة يتبارون في جلد الجيش وانتقاده، ربما هذا الموقف أحد العوامل التي تفسر علاقة الأبنودي بالجيش، وحرصه عليه، وعدد من مواقفه الأخيرة التي أثارت عليه عواصفا واتهامات كثيرة في الفترة الأخيرة، واجهها بعناده المعتاد ومواقفه المستقلة النابعة مما يؤمن

به فقط، وهوما يفسر أيضا النعي شديد الخصوصية الذي نعت به القوات المسلحة الأبنودي، بقسم لحماية مصر يستلهم أشعاره، تمامًا كما ظل عبد الحليم حافظ محافظا على تقليده ببدء حفلاته بالأغنية القسم "أحلف بسماها وبترابها" وببرنامج لا يخلو من "ابنك يقولك يا بطل".

وللأبنودي تراث كبير مع الأغنية الوطنية، حمل أغلبها صوت عبد الحليم، منها: اضرب اضرب، إنذار، بالدم، بركان الغضب، راية العرب، الفنارة، يا بلدنا لا تنامي. وبعد نصر أكتوبر.. "صباح الخير يا سينا".

بدأ الأبنودي مسيرته الغنائية "صدفة"، مع «انقذ قطنك»، بصوت فاطمة على، بدون علمه. فقد قرر المسؤول عن الإذاعة حينها، حسن الشجاعي، تحويل القصائد الشعرية المهمة التي تنشر فى الجرائد إلى أغانٍ، وقرر البدء بـــ"أنقذ قطنك"، وطلب من الراحل، صلاح جاهين، مقابلة «الأبنودى» لتقديم أغاني أخرى، فكتب ثلاثة أغنيات جديدة للإذاعة، هى «اتمد يا عمرى اتمد» عن السد العالي، و«بالسلامة يا حبيبى بالسلامة»، و«تحت الشجر يا وهيبة»، فوافق الشجاعي على الأولى والثانية، ورفض الثالثة، "لصعوبة إيجاد مطرب يستطيع أن يغنيها"، فاقترح الأبنودى محمد رشدي، لتصبح تحولا في مسيرة الغناء وقتها.

ذلك التحول قلب موازين الأغنية، وبشر ببداية موجة جديدة ومفهوم جديد للغناء الشعبي وحقق نجاحاً كبيرًا، وعاد به محمد رشدى مرة أخرى إلى الحياة الغنائية، ومن حينها ظل حتى رحيله ملازمًا للأبنودي، وقدم معه رائعتهما "عدوية" التي لحنها بليغ حمدي.

لفت نجاحهم أنظار العندليب، فسعى للأبنودي ليغني في ١٩٦٦ أول اغنية من كلماته "الفنارة"، طلب العندليب كلمات تناسب شخصيته الفنية، فقدم له التوبة، التي لحنها بليغ حمدي لتنطلق مسيرة الثلاثة التي توجت بشكل خاص أغنياتهم الوطنية، وفي تحدي لعبد الحليم كتب الأبنودي "أحضان الحبايب" في دقائق ردًا على اتهام عبد الحليم، بعدم نجاحه في كتابة الأغنية التقليدية لتظل من أجمل ما قدما ــ كما غني له حليم الهوي هوايا.

وكما سعي له حليم، سعت كوكب الشرق أم كلثوم، لغناء أشعاره لكنهما مرا بتجربة سيئة معا رفض خلالها الأبنودي ثلاث مرات، طلبها غناء أشعاره، كانت الأولي «بالراحة شوية» رأي «الأبنودى» إنها لا تناسبها، ولا تليق كلماتها بما يجب أن يكون عليه تعاونه مع قامة مثلها وحينما طلبت غناء أغنية «ثورة اليمن» التي كتبها للملحن عبدالعظيم عبدالحق، التزم باتفاقه معه رافضًا سحب الأغنية وإعطائها لها، وفي المرة الثالثة أعجبت بأغنية عبد الحليم "ابنك يقولك" وطلبت غنائها فرفض الأبنودي لأنها أغنية حليم، وكان هذا الموقف بداية قطيعة بينهما.

قدم الخال أكثر من ٥٠ أغنية لنجوم الغناء، بخلاف أغاني الأعمال الدرامية، ولم يسع إلى جمعها في ديوان، لكنها محفوظة في وجدان الشعب العربي كعلامات في تاريخ من تعامل معه من مطربين، أشهرها: يمّا يا هوايا يمّا، مال على مال، قاعد معاي لفايزة أحمد، آه يا أسمراني اللون، قالي الوداع، أغاني فيلم شيء من الخوف لشاديه، ساعات لصباح، عيون القلب، قصص الحب الجميلة لنجاة، طبعًا أحباب، قبل النهاردة لوردة

الجزائرية، شباكين على النيل عنيكي لـــــ محمد قنديل، جايي من بيروت، بهواكي يا مصر لماجدة الرومي، شئ من الغضب لنجاح سلام.

غيرة عبد الحليم حافظ الفنية :

معروف عن العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ أنه كان شديد الغيرة فنيًا، فكان يحب دائمًا أن يظل على القمة ما يدفعه للتعاون مع الشعراء والملحنين الذين حققوا نجاح مع مطربين آخرين، يتعاون معهم وينجح في استثمار مواهبهم بأعمال ناجحة.

الثلاثي عبد الرحمن الأبنودي والملحن بليغ حمدي والمطرب محمد رشدي تعاونوا معًا فحققوا نجاحًا كبيرا، بدأ في أغنية "تحت الشجر يا وهيبة"، وبلغ قمته في أغنية "عدوية" التي أصبحت أشبه بنشيد شعبي لكل من بلغت مسامعه هذه الأغنية، الغيور عبد الحليم كعادته رغب في التعاون مع الثنائي بليغ والأبنودي، مستغلًا نجاحهما الكبير مع رشدي.

يروي الأبنودي أنه تم خطفه فعليًا لمقابلة حليم، فحينما كان الخال بصحبة رشدي وبليغ فجأة وجد أمامه اثنين يرتديان بذلتين ونظارات سوداء ضخمة، وقال أحدهما بنبرة حادة: "حضرتك الأستاذ الأبنودى؟ من فضلك عايزينك معانا شوية"، وبعدما ظن الخال أنه معتقل، اقتيد في سيارة إلى عمارة بحي الزمالك، صعد إلى الشقة وجد أمامه عبد الحليم حافظ.

طلب العندليب يومها من الأبنودي أن يكتب له أغنية، وقال: "أنا عايز أغني باللغة بتاعتك دي عشان عاجباني، بس أنا مقدرش أقول المسامير

والمزامير زي رشدي" -يقصد مقطع في ايديا المزامير وف قلبي المزامير من أغنية عدوية.

فرد عليه الأبنودي قائلًا: "هنعمل كل ما أقول التوبة بس مع بليغ"، وكان بليغ وقتها على خلاف مع حليم ونجح الخال في جمعهما مرة أخرى، وعلى الرغم من أن الأبنودي كتب هذه الأغنية خصيصًا لحليم، إلا أنه حين سمع الأغنية أول مرة استشاط غضبًا بسبب مقدمة الأغنية، بل وصل الأمر إلى أنه تبرأ منها ومن موسيقاها، وقال إنها تذكره بالموسيقى الخاصة بالسيرك والملاهي الرخيصة في العاصمة الفرنسية باريس.

رؤية عبد الرحمن الأبنودى الأدبية

الأدب فقد جماهيره

عبد الرحمن الأبنودي": الأدب فقد جماهيره؛ لأن الأدباء ابتعدوا عن الناس.. ومعظم شعر الفصحى الآن مصيره "مزبلة التاريخ!"

الحوار مع الخال "عبد الرحمن الأبنودي" لا يحتاج إلى مناسبة، وفي كل مرة تجلس إليه أو تستمع لعذب حديثه ستكتشف الجديد والمثير، ذهبنا إليه هذه المرة إلى الإسماعيلية حيث يقيم الآن بعيداً عن صخب وتلوث القاهرة كما نصحه الأطباء بعد عودته من رحلة العلاج الأخيرة، الحوار معه بدأ عن حال الشعر الآن، ولأن الحال لا يعجبه وجدنا نفسنا نُبحِر في عالم رفيقِ دربه وابن صعيده الشاعر الكبير "أمل دنقل" الذي مرَّ على رحيله في مايو الماضي ربع قرن، وهكذا بدأ الحوار مع الكبير ليكون معظمه عن كبير آخر...

هناك اتهام يتم توجيهه بشكل دائم للأدباء في هذه الأيام وهو وجود حالة من الانفصال الحاد بين موقف الأديب وإبداعه.. كيف ترى هذا؟

قديما كان الأدباء لهم مواقف ومعارك؛ لأن طبيعة المرحلة التي كانوا يعيشون بها كانت تفرض ذلك؛ حيث كان هناك برلمانات حقيقية وأحزاب فاعلة بالإضافة إلى إيمانهم بفكرة وضرورة التنوير وإيقاظ الناس.. لكن الآن لا نجد ذلك، لكني أيضا أستطيع أن أؤكد أن هذا الحال لن يدوم، وإذا دام فأملنا كبير في حماقة العدو؛ لأنه المنوط به إيقاظ هذه الأمة، فنحن نجد

إسرائيل تتحرش بنا يوميا، وهي لن تكتفي بهذا؛ لأنها دولة توسعية، ونحن على الرغم من مهاودتها وتفريغنا لسيناء من أجلها وتسميتنا لكل مشروعاتنا بـ"السلام" إرضاءً لها... رغم كل ذلك لا نرى منها سلاماً. أما بالنسبة للأدباء والمثقفين الآن فهم يدّعون أنهم يفهمون الناس وهم ليسوا كذلك؛ فهم حوّلوا الناس إلى مسائل جبر، والناس أصبحت لا صلة لها على الإطلاق بهم فلهم عالمهم وللمثقفين عالمهم، وأنا لي قصيدة تعبِّر عن ذلك اسمها "الدائرة المقطوعة" وكان بعض الإخوة الثوريين يتضايقون منها ويقولون أنهم فعلا نزلوا للناس وأنهم في قلب الجماهير، وهذا ليس صحيحا، ودلت التجارب أن الأحزاب التي لها نصف قرن من التواجد لم تصنع شيئا، بالعكس فقدت جماهيرها وهم سعداء بهذا الفقد. ثم إن المثقفين انشغلوا بلقمة العيش التي باتت من أصعب الأمور، والناس عموما باتت تحصل عليه بـ"خلع الضرس."

ألا ترى أن كثيراً من شعراء العامية الأن تأتي قصائدهم دون طعم أو لون وفي أحيان كثيرة بلا معنى؟

الشعر -بشكل عام- يعاني من كل هذا؛ لأن انفصال الشعر عن القضايا المهمة هو الذي أفقده الحيوية والخصوبة، وبالتالي الصلة بالبشر، ولن أتحدث عن المنفعة؛ لأن هناك اتجاهات تُدين توظيف الشعر ونفعيته، ولا أعني بذلك القضايا العامة بمعنى القضايا الجماهيرية والقضايا السياسية، فنحن دائما متّهمون بأننا نريد أن ندخل الشعر حظيرة الصراع مع الدولة، لكن ما أتحدث عن غيابه هو هذا الشعور بالناس، والشعور بأننا جزء من

الكل ويجب على الشعراء والمثقفين إدراك أهمية هذا الشعور، وإلا سيسهل على أي نظام أن ينفخنا في الهواء.

هل ترى أن الشعر ما زال يمتلك القدرة على التغيير أو التعبير على الأقل عن قضايا الناس وهمومهم؟

ليس الشعر فقط الذي لم يعد قادراً على التغيير وإنما الأدب كله بشكل عام، فالأدب دائماً كان يمهد الطريق أمام السياسيين ويهيئ الناس للفعل السياسي، وانظر إلى الأدب قبل الثورة الفرنسية والروسية لكن الآن لا يوجد فعل سياسي بالمعنى الحقيقي.. الوحيد الذي يتحرك هم أعداء الشعب.
هل تعتبر أن اللجوء لقصيدة النثر في شعر العامية هو عجز عن كتابة القصيدة بشكلها التقليدي؟

ليس عجزاً وليس هروبا من القافية والوزن، وإنما هروب من الموقف كله، ودوما كانت قصيدة الشعر العربي يتم التعامل معها ليس بقيمتها الإبداعية وإنما بقيمتها الإنسانية.

هل تعتقد نفس الرأي في شعر الفصحي؟

وهل لديك قصيدة فصحى؟!! أنا أقرأ كل ما يكتب وأرى أن معظمه سيُرمى به في مزبلة التاريخ.

الكل يعرف صداقتك القوية التي جمعتك مع الشاعر الفذ "أمل دنقل".. كيف تنظر إليه بعد مرور ٢٥ سنة على رحيله؟

"أمل دنقل" كان تجربة فذة وفريدة سواء على مستوى الإبداع أو على المستوى الإنساني كما كان سريعاً في التقاط الحياة من حوله وتجسيدها، فنجد أشعاره التي عبر فيها عن قراءاته مثل "أوراق أبي نواس" و"ابن نوح"... وغيرها غاية في الأهمية، لكن قمة أشعاره هي تلك التي كتبها وهو في رقدته بمعهد الأورام "أوراق الغرفة ٨"، وقد كنت معاصراً لتلك الأشعار وكنت أسعد جداً حينما يقول لي إنه كتب قصيدة بالأمس ويقولها بإهمال ثم حين يقرأها كنت أشعر بأني غير قادر على التعبير، ولم أر حتى الآن إنسانا رصد وجود المريض والعالم من حوله بهذه الدقة وبهذه الحساسية وبهذه الأمانة الفريدة في التعبير عما يحسه فهو لم يكن شاعراً يستعير مواقف أو أحاسيس، وإنما شعره كان مرآة لأفكاره ولروحه وعواطفه، وحتى حينما رحل فقد رحل قويا جداً بعدما عامل الموت باستهانة، وكان يضحك وهو يحتضر، لذا فأنا أرى تجربة "أمل" في الحياة والشعر والموت فريدة من نوعها، ولم أر مثلها على الإطلاق إلا في حالة أمهاتنا "فاطنة قنديل" أمي، و"يامنة" عمتي، وأنا كتبت قصيدة عن أمي قلت فيها:

أمي والليل مليل

طعم الذات القليل بترفرف قبل ما ترحل

بجناح بريشات حزانى

وسددت ديونها وشرت كفن الدفانة

تقف للموت يوماتي.. مجاش ابن الجبانة!!

يعني هذا الاحتقار للموت، وكأن الموت فعل إرادي والتعامل معه على أساس أن هناك علاقة ندية مع هذا الموت فكان "أمل" خير تجسيد لها كما أنه كان يحظى باحترام حقيقي من المثقفين لقدراته الشعرية ولالتصاقه بمواقفه؛ لأنه كان رجلا لا يحمل غير وجهه، وما زلت حينما أذهب إلى صعيد مصر سواء كنت بمفردي أو في زمرة من الأصدقاء لا بد وأن أمر على قبر "أمل دنقل."

ما رأيك فيما قيل عن "أمل دنقل" أنه كان عدوانياً وسليط اللسان؟

"أمل" كان يخشاه من لا يعرفه؛ لأنه كان يبدو شرسا، وكأنه لا يطيق أحداً، وهو في الواقع كان يصنع سدا بينه وبين الآخرين؛ لكي يستطيع أن يقيم علاقة متوازنة وحقيقية. وأذكر أننا حينما كنا صغاراً كانت مشاكله تمشي معه، وتحت أقدامه، وأهله كانوا دائما يخوضون المعارك من أجله، وهم يعلمون أنه المتسبب أو السبب أو البادئ بالمشكلة والتعارك مع الآخرين، ولكنه كان لا يتعارك كنوع من الانفلات، ولكن كعاشق للخوض في التجارب، ولذلك اختار في أشعاره "أبا نواس" وغيره من المناوئين.. أي أنه استدعى من التراث المشاكسين القريبين من روحه، وكنت عندما تقترب منه تجده إنسانا قديما جدّاً إلا أنه شاعر حديث جدّاً جدّاً.

لماذا لم يحمل "أمل دنقل" الريف الذي أتى منه في قصيدته التي ظلت حتى وفاته لا تنتمي لهذا الريف بينما حملت كل قصائدك هذا المكان بشخوصه ولغته؟

أولا أنا و"أمل" كتبنا في بداياتنا بالفصحى، ولكن أنا أدركت أن قريتي "أبنود" التي أعشقها والتي سوف أكتب عنها لا تصلح للفصحى خاصة حينما ذهبت بقصائدي لقراءتها على رفاق الطفولة ورفاق الرعي، وأمشي خلف الحصادين لم أنل الترحيب المناسب أو الفرحة التي كنت أنتظرها بهذا الشعر، بل أحسست أن هناك حاجزاً زجاجياً حدث بيني وبين أحبائي الذين ليس بيني وبينهم أي حواجز، فكان لا بد وأن أفكر في الكتابة بلهجة هؤلاء الناس وأعبر عن عالمهم؛ وذلك لأن لديهم الموال والمربع، ومن ثم فهم ليسوا في حاجة إلى شعري وإذا لم أكن قادراً على أن أنفذ إليهم من خلال هذه الأشعار فلن يستمع إليّ أحد منهم، وبالتالي فلن يستمع إليّ أحد من كل "التحتيين" الذين اخترت الكتابة عنهم ولهم، لكن "أمل" اختار المثقفين وأن يصبح مع "محمود حسن إسماعيل" وغيره من الشعراء العظام. كما أن كل الوقائع والشخوص التاريخية التي استوحاها في أشعاره لم تكن لتخاطب الفلاحين، إنما تخاطب المتعلمين والمثقفين لكنه في قصيدته "لا تصالح" أظن أنه استقطب مساحات كبيرة من البشر وعلى الرغم من أنه استوحاها أيضا من "الزير سالم" و"كُليب" و"جليلة بنت مرة" إنما نزل بها –لأنها عبّرت عن الأمة العربية كلها– إلى مستويات أقرب للشعبية، وإن لم يتنازل عن عالمه الشعري وأدائه اللغوي، وكان قد نضج نضجا كبيراً في الاستفادة من الملحمة والعلاقة الحميمة من التراث، وفي النهاية فإن خريطة "أمل دنقل" الشعرية خريطة متسعة جدّاً وبطريقة غير عادية.

لو أنه كان ما زال حيا بيننا.. هل لك أن تصور لنا رأيه في المثقفين وموقفهم من الأوضاع التي نمر بها الآن؟

الحقيقة أن أمل كان معظم آرائه في المثقفين وفي الحياة السياسية تصب في شعره، ولم يكن يتحدث كثيرا في ذلك. وإنما كان يتحدث في المسائل التي تخصه وتخص أصدقاءه، وكان يعلم أن الكلام الكثير في السياسة يفسد القصيدة السياسية، وكذلك الكلام في الحب يفسد القصيدة الرومانسية، ويجعلك هذا الكلام مكتفيا بما قلت، ولا تقترب حبيبتك من شعرك.. وكان دائما لا يخبرنا بقصيدته التي ما زالت في علم الغيب ولم يكتبها بعد.

هل صحيح أن "أمل دنقل" تنبأ لك بالغنى والشهرة وأن الناس سينسونه؟

كنا صغاراً عندما قال لي هذا الكلام، وهي نبوءة شاعر، وهو أدرك منذ صغره أنه سيصير شاعراً فصيحاً، وسيكون مع الشعراء البعيدين عن الناس.. أما أنا فكنت منذ وقت مبكر معجباً بأغاني الفلاحين والصعايدة، واستطعت أن أكتب أغنيات في وقت مبكر جدّاً، فهو رأى أنني سوف أكتب شعراً سينال مساحة كبيرة من الجماهير لذا سأكون مشهورا جدّاً. لكن فكرة أني سأصبح غنياً فقد كان هذا غريباً عندما سمعته منه حتى أنه قال لي وقتها: أرجو عندما تصبح غنيا ألا تنساني، ويجب ألا نكون مفترقين.

وهذه النبوءة لم أهتم بها حينها لكن في إحدى المرات وفي الغرفة ٨ بمعهد الأورام وفي حضور زوجته قلت له: يا "أمل" زمان واحنا صغيرين قلت لي حاجة.. قال لي: فاكرها. وسرد لي هذه النبوءة دون أن أذكّره بها وكأنه يعلم بما أريد أن أقوله قبل أن أقوله. فهو بالرغم من أن أهل قريته

كانوا يعتبرونه ناشزا إلا أنه كان إنسانا متطابقاً مع نفسه بعظمة لا مثيل لها، وأذكر عندما أوصاني بأن يدفن مع أبيه قال لي: سوف يقولون لك: لقد بنينا مقابر جديدة تليق بما وصل إليه "أمل دنقل"، ولا يصح أن يُدفن في المقابر القديمة فكن مصرّاً على دفني مع والدي.. وهي المعركة التي خضتها مع أهله لكي يدفن مع والده مثلما خضت معركة لكي يدفن "يحيى الطاهر عبد الله" أسفل "العالية" التي كتب عنها كثيرا في رواياته -رحمهما الله جميعاً.

الأبنودى وثورة ٢٥ يناير

إن الجيش حمى الثورة ووجد فيها وسيلة للخلاص من فكرة توريث الحكم

بروحه الصعيدية المرحة استقبلنا في بيته الريفي الهادئ بمدينة الإسماعيلية، وأمام صورة للشهداء معلقة على جدران صومعته للكتابة، تنعكس منها أجواء ميدان التحرير.. تحدث الشاعر عبد الرحمن الأبنودي عن الثورة، وصراعات القوى السياسية على مسرحها، وموقف المجلس العسكري الذي يدير شؤون البلاد، كما تحدث عن رؤيته للمستقبل في ظل مفترق الطرق الذي تمر به مصر.

أكد الأبنودي أن ثورة ٢٥ يناير قامت بها الجماهير بصورة تلقائية كالأنشودة، وعبرت عن حالة ضيق شعبي كامل بكل ألوان الفساد الذي خنق تقدم مصر، ولفت إلى أن مأزق الثورة الحقيقي أنه لم يكن لها قيادة واضحة محددة، مما جعل دمها يتفرق على الجميع. فهم على حد قوله «يقبعون في قلب المدينة ولا يذهبون للريف ولا إلى العمال في المصانع، ولا يحاولون فهم الواقع الحقيقي للإنسان المصري». وتوقع الأبنودي أن يكون رئيس مصر القادم عسكريا، وقال: «ما نراه الآن هو الدولة المدنية من وجهة نظر المجلس العسكري، مع بعض ديمقراطية، لنتنازع نحن في الهواء الطلق مع الإخوان المسلمين والمجموعات الإسلامية الأخرى». وتحدث الأبنودي عن علاقته بالشعر، وأجواء قصيدتيه «الميدان» و«النظام

لسه ما سقطش»، اللتين لقيتا صدى طيبا في أوساط الثورة.. وتطرق الحديث إلى قضايا أخرى.. وهنا نص الحوار:

* احتفلت مصر منذ أيام بذكرى ثورة ٢٣ يوليو، باعتبارك عاصرت ثورتي يوليو ويناير ما الفرق بينهما من وجهة نظرك؟

- أعتقد أن كل من يحاول إثبات وجود تشابه بين ثورتي ٢٣ يوليو و٢٥ يناير قد جانبه الصواب في هذا الأمر، لأن ثورة يوليو قامت من خلال تنظيم صنعه ضباط الجيش المصري، وأدى هذا التنظيم إلى انقلاب حولته الجماهير إلى ثورة، بمعنى أن الجماهير هي التي حمت ثورة الجيش، أما ثورة ٢٥ يناير، فالعكس هو ما حدث، فالجيش حمى ثورة الجماهير، وإذا أردنا المقارنة بين الثورتين سنجد أن ثورة يوليو كانت واضحة في خروجها من أجل الفساد المستفحل، والخيانة والأسلحة الفاسدة في حرب ٤٨، ومن أجل التحرر وطرد الاستعمار الإنجليزي، فكانت هناك أهداف واضحة ومحددة، ثم في ما بعد انقلبت إلى ثورة آمنت بتصنيع مصر وتحويلها من دولة زراعية إلى دولة صناعية، وأقامت السد العالي وخاضت في سبيله معارك، فلن يستطيع أحد أن يقلل من شأن ثورة يوليو بأي صورة من الصور.

أما في حالة ثورة ٢٥ يناير فالجماهير قامت بها بصورة تلقائية، كالأنشودة التي لها كيان وليس لها كيان في نفس الوقت، فلم يكن لهذه الثورة حتى الآن قيادة واضحة محددة، وهو أمر شديد الغرابة عالميا، إذ لم يحدث أن قامت ثورة عامة في الدنيا بلا قيادة، ثورة يتفرق دمها على

الجميع، فأنا أرى أن ثورة ٢٥ يناير عبرت عن حالة ضيق شعبي كامل لكل ألوان الفساد الذي خنق تقدم مصر، وسار علنيا، وكأن أهم أهداف الحكم السابق هو تحقيق الفساد وتعليم الجماهير الفساد، وإفساد الواقع السياسي كله بصورة ممنهجة، إلى جانب حالة القهر الشديدة التي كان يعانيها الإنسان المصري، وحالة اللامستقبل للأمة، بالإضافة للعمالة الواضحة لإسرائيل وأميركا، كل هذا أدى إلى أن تندلع الثورة بصورة تقليدية، حتى أصحابها الذين بدأوها كانوا يعتقدون أنهم سيذهبون إلى ميدان التحرير، يهتفون، ويعلنون مبادئهم ويضربون من قبل الشرطة، ويعودون كالعادة إلى بيوتهم، فإذا بهم يفاجئون بأن مصر كلها خرجت لدرجة أنهم تاهوا في وسط الملايين من قوى الشعب المصري التي عانت طويلا.

* كيف إذن تفسر تجاوب قوى الشعب المصري مع الدعوة للتظاهر يوم ٢٥ يناير والخروج للشارع، على الرغم من وجود دعوات سابقة عديدة للتظاهر ضد النظام السابق لم تلق نجاحا؟

- الشعب المصري له قانونه الخاص، ففي الوقت الذي تنتظره أن يخرج إليك لا يخرج، وحين لا تتوقع خروجه وتؤمن بموته ينبثق كعملاق لا يمكن رده.

* ما تقييمك لأداء المجلس العسكري في إدارته للبلاد بعدما قام بحماية الثورة؟

- في رأيي أنه بعد نجاح الشعب المصري في هزيمة الشرطة لأول مرة بقطاعاتها الفاسدة، لم يكن أمام القوات المسلحة إلا حماية الثورة،

لأنها كانت وسيلة القوات المسلحة الوحيدة للخلاص من فكرة توريث جمال مبارك، الذي يعني حدوثه خروج الشرعية من يد القوات المسلحة، التي ظلت في يدها منذ عام ١٩٥٢، وكانت القوات المسلحة في سبيلها لعمل انقلاب ما لاسترداد هذه الشرعية، ولكن قام الشعب المصري الطيب بهذا الانقلاب وهذه الثورة التي وجد فيها الجيش الخلاص، ولذلك حماها، وفرحنا نحن بالحماية وقلنا «الثورة والجيش إيد واحدة»، ولكن سرعان ما بدأت السحب تنقشع والحقائق تتبدى وتبدو للعيون واضحة، بأن الجيش ربما كان معاديا لأن يكون هناك ثورة من الأساس، فالجيش يريد الأحوال كما هي، ويعتقد أن الجماهير بمجرد تحقيقها للثورة فإن مهمتها قد انتهت وعليها العودة إلى بيوتها مرة أخرى، وترك الأحوال كما كانت بفسادها ببيروقراطيتها، ولذلك كل مطالب الثورة ظلت تراوح مكانها لم تتحرك مترا واحدا. صحيح قبض على قمم القيادات السياسية، ولكن ليس لأنها فاسدة كما كنا نرى نحن، وليس لأنها أفسدت الحياة السياسية والثقافية والفكرية ومستقبل هذه الأمة كما كانت الثورة ترى، ولكن لكي لا تعوق الجيش عن تحقيق مهمته في استرداد شرعيته من جديد، والآن الجيش ليس لديه مانع في إطلاق سراح حسني مبارك وابنه وكل رموز نظامه، لأن فكرة التوريث أفسدت خلاص و«اتحرق كارت جمال مبارك»..

* لكن المجلس العسكري يؤكد دائما أن مهمته تسليم البلاد لسلطة مدنية ديمقراطية كما يرغب الثوار؟

– مصر لا يمكن أن تكون إلا دولة مدنية، ولكن هناك تصورا للدولة المدنية من وجهة نظر الثوار يختلف عن تصور الجيش للدولة المدنية، كما

كان هناك تصور آخر للدولة المدنية في ظل حكم مبارك ولم نكن نريدها على الإطلاق، فالدولة المدنية من دون ديمقراطية، من دون سطوة القانون، من دون عدالة اجتماعية لا قيمة لها، فهي ليست لافتة على مضمون خاو.

* وما مواصفات الدولة المدنية من وجهة نظر المجلس العسكري؟

– ما نراه الآن هو الدولة المدنية من وجهة نظر المجلس العسكري، مع بعض ديمقراطية، لنتنازع نحن في الهواء الطلق مع الإخوان المسلمين والمجموعات الإسلامية الأخرى، ويتناحر الليبراليون والاشتراكيون واليساريون مع السلفيين وغيرهم، ويتم هكذا الاستقرار للجيش، وهذا ما يحدث الآن بالتفاصيل. وأعتقد أنه بعد المواجهة الحاسمة التي شهدها ميدان العباسية يوم ٢٣ يوليو، وهو يوم الرمز الذي إذا ما قمع فيه الثوار، فهذا يعني أن عليهم إما أن يخضعوا للرؤية العامة للسلطة، وإما أن يكون هذا التناقض والتناحر والقمع، خاصة أنه لم يعد هناك صورة تقليدية للقمع والضرب المباشر، ولكن يوجد هناك جيوش البلطجية التي تستعمل الآن هذا الاستعمال الجيد جدا في قمع الثوار، وفي هذه الحالة الجيش يده نظيفة والسلطة يدها نظيفة، فأنا رأيي أن ما حدث في العباسية مرتب ومنظم، وكان البلطجية قابعين في المكان قبل مجيء الثوار، فهذه أمور مرتبة وعلينا ألا نكون سذجا أكثر من ذلك.

* لكن أغلبية الشعب رأت أن الثوار هم من أخطأوا عندما توجهوا بمسيرة لوزارة الدفاع، فما تعليقك؟

– الثوار دائما ثوار، فالثورة يكون فيها جوانب عاطفية كبرى، وفي المقابل يقل العقل والتدبير السياسي، ولكن في رأيي أن الثوار في هذه الفترة تطوروا سياسيا بشكل كبير، وحتى الشباب الذي ربما لم يكن له صلة بالسياسة نضج في ميدان التحرير، وأدركوا الآن من الذي سرق الثورة ومن ضدهم، وأنا أعتقد أن الأمر لن ينتهي عند هذا الحد.

* في تقديرك، ما الأخطاء التي وقع فيها الثوار؟

– أعتقد أن الخطأ الأكبر هو الدوران في حلبة ميدان التحرير وتصور أن هذا هو الواقع، وهو خطأ دائما يقع فيه الثوار، حيث يقبعون في قلب المدينة ولا يذهبون للريف ولا إلى العمال في المصانع، ولا يحاولون فهم الواقع الحقيقي للإنسان المصري، لقد سارت هناك لغة بين الثوار لا تصلح في الواقع بأي صورة من الصور، لا يستطيعون إقناع الفلاح بها، فلكي تقنع الفلاح عليك أن تدرس أحواله وأن تبدأ من تصوره للحياة والدين واللغة والأشياء القريبة إلى عقله التي يستطيع بها أن يتغير وأن يتحرك، وكذلك بالنسبة للعمال وكل القطاعات الفاعلة والعاملة في الواقع، فنحن نقوم بدوري الطليعة والجماهير معا، في حين أننا لن نصبح طليعة إلا عندما نصبح طليعة شعب من خلفنا يتحرك. فالجماهير التي نزلت إلى الميادين نزلت بدافع السخط والمعاناة والقهر الشديد، ولكن بعد فترة انصرفوا إلى أعمالهم وحياتهم، وأخطأ الثوار حينما انتهت الرحلة بالنسبة لهم بسقوط الرئيس المخلوع الذي لم يسقط فعلا على الورق حتى الآن، فهو لا يعامل كمسجون لأنه لا يوجد قرار من الداخلية بسجنه أو من وزارة العدل، فهو رئيس مريض وليس مسجونا.

* في خضم كل هذا هل تشعر بالتفاؤل؟

- لا أنا غير متفائل بالأوضاع الحالية، وأخشى أن ينتهي الأمر بالثوار إلى ما انتهت إليه الأجيال السابقة، فنحن أيضا ناضلنا كثيرا ثم وجدنا أنفسنا في النهاية لم نحقق شيئا، لم نحقق سوى أننا أثرنا في هذه الأجيال التي جاءت لتصنع الثورة، وأخشى أن يكرر الثوار الآن نفس السيناريو، ويصبح هناك شباب، في يوم ما وبعد سنوات طويلة يصنعون نفس الرقصة الثورية، وينتهي الأمر إلى ما كنا فيه. ولكنني مؤمن أنه في النهاية سوف يأتي يوم تقبض فيه الناس على السلطة، وستقود حياتها بنفسها، ومصر من الصعب هزيمتها ومن الصعب قتلها، هل كان يتخيل مبارك وجزاروه أن الشعب المصري سينزل الميدان ليهتف ضده حتى إسقاطه.

* كيف ترى الخوف من تنامي التيارات الإسلامية؟

- التيارات الإسلامية لا تستفيد أبدا من تجارب الماضي، فما يحدث لنا الآن هو نفسه ما حدث سنة ١٩٥٤، الدستور أولا أم الانتخابات أولا، ثم جاء الجيش وقال ولا هذا ولا ذاك، واستولى على السلطة وهو ما سوف يحدث الآن، «هيتعاركوا معانا ونتعارك معاهم، ونصل لمرحلة الجيش يقول خلاص».

* وصفت الجماعة الإسلامية المعتصمين بميدان التحرير بالبلطجية وأنهم يتقاضون مبالغ مالية من العلمانيين للاصطدام بالمجلس العسكري لصالح أميركا وأنهم سينزلون الجمعة لتطهير ميدان التحرير، ما تعليقك؟

- توقعت حدوث ذلك وكتبته في قصيدة «لسه النظام مسقطش»، فقلت فيها:

«وانت اللي دافعت عني ف عركة التغيير بكرة هتقتلني بإيديك في ميدان التحرير كشر بأنيابك السودا.. بلا محاذير رافع نداك للجهاد.. ويفط آيات الرب لكن وقلبك عتم مافيهش شيء يتحب»

* كيف تتوقع الأحداث في قصائدك؟

- لأنني لم أنفصل عن حياة الناس فأنا ابن بيئة فقيرة جدا وأسرة تحت الصفر الاجتماعي بمراحل كبيرة، لذا أفهم الناس الفقيرة والواقع المحيط بهم، والكتب الكثيرة الموجودة في مكتبتي قرأتها لأكون على علم بما يدور في الدنيا، لكن كتابي الأصلي هو الواقع المصري، هذا إلى جانب تجربتي مع ثورة يوليو.

- برؤيتك للأحداث تتوقع من سيكون رئيس مصر القادم؟

- أتوقع أن يكون رئيس مصر القادم عسكريا، لذا أتمنى من مرشحي الرئاسة أن ينتبهوا وأن يقفوا معا ضد الطوفان القادم، فأنا أرى أن حماسهم لفكرة الرئيس بدأ يخفت.

* حدثنا عن قصيدتك «الميدان» المثيرة ومراحل كتابتها؟

- هذه القصيدة كتبتها في وقت مبكر جدا من الثورة وقبل سقوط حسني مبارك وأعوانه، فكتبت مربعين منها ليلة موقعة الجمل وأكملتها ثاني يوم، واعتقد الناس أن هذه شجاعة كبيرة مني، وفي الواقع أن شعري

أشجع مني بكثير، فالشعر يسبقني وهو الذي يحركني كإنسان، فهو مثل الحصان الذي لديه قدر كبير من الحرية عن فارسه، وأنا في حياتي دائما عندي مقولة أقولها وهي «أن الشعر كالإنسان الصعيدي إذا خنته مرة واحدة خانك إلى الأبد»، فعلي أن أترك الشعر الذي بداخلي أن يتصرف على هواه في قصيدته وأنا مجرد بوسطجي، لا أتدخل، لأن التدخل في القصيدة خوفا من شيء أو تحفظا على أمر أو لعمل حساب لجهة ما، هذه هي الانتهازية بعينها ولا يمكن أن يصل الشعر إلى الناس أو يستقر في قلوبهم، وربما هذا هو سبب استمراري كشاعر، كما أنه حافظ على وجودي لمدة نصف قرن منذ جئت إلى القاهرة عام ١٩٦٢، فقصيدة الميدان لو كان بها نبرة كذب واحدة ما كانت وصلت للناس، «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض»، الذي يمكث في الأرض معناه أنه خرج بصدق ومن دون أهداف ومن دون أجندات خاصة التي كثر الحديث عنها هذه الأيام.

– وماذا عن قصيدة «لسه النظام مسقطش» التي تناولت فيها كل الأحداث التي مرت بها الثورة وتنبأت بالبعض الآخر؟

– هذه القصيدة هي الوعرة في حياتي، لأن بها تنبؤات بواقع وأشياء تحدث الآن، فالشعر هو حزمة من التنبؤات، وتقاس قيمة الشاعر بقدرته على الرؤية، وهو ما نطلق عليه خطأ التنبؤ ولكنه في الحقيقة استبصار ووعي وإحساس بالقادم. فمع بداية تحول الفرحة بالتنحي إلى وعي بدأت تتبدى لي الأحوال المقبلة. فكتبت في القصيدة عن «العركة» التي بانت بوادرها بين الثوريين والإسلاميين، وفيها كتبت أيضا عن علاقة الجيش

بالثوار، وعن المحاكمات العسكرية، وعن العدالة البطيئة وعدم القصاص لدم الشهداء حتى الآن، فهي تتكون من ٤١ موالا يحكي حكاية الثورة، وكم تمنيت أن تمكنني صحتي من النزول لميدان التحرير والمشاركة مع الثوار، ولكن قصائدي شاركت بالنيابة عني، فهي رد فعل عن حرماني من النزول بسبب حالتي الصحية.

* كم من الوقت استغرقت كتابة قصيدة «لسه النظام ماسقطش»؟

- استغرقت القصيدة نحو ١٥ يوما كتابة، لأنها قصيدة بها رؤية، ولبناء الرؤية من دون كذب ومن دون الخروج عن النسيج الأمر يتطلب وقتا كبيرا، فللكتابة عن الثورة لا بد أن يتفجر الشاعر ليكتب قصيدة شديدة الحرية، وهذه القصيدة من نوعية القصائد محبوكة الطرفين وهو نوع شديد الصعوبة.

* فزت بجائزة مبارك للآداب عام ٢٠١٠ وقبل شهور من اندلاع ثورة ٢٥ يناير، هل اسم الجائزة يضايقك؟

- طبعا يضايقني جدا، المشكلة أنني عندي جائزتان أضعهما على الجدار وأنا مضطر أن أرفعهما الآن، وهما وسام الآداب والفنون من الطبقة الأولى من زين العابدين بن علي الذي نحي، وجائزة مبارك للآداب - وهي أكبر جائزة أدبية في مصر - من مبارك الذي نحي أيضا، فأنا أمام أحد أمرين إما أن أنحي الجدار الذي عليه الجائزتان، أو كما حدث وخاطبت الثوار في تونس أن يسارعوا في تغيير اسم الجائزة، وخاطبت وزير الثقافة المصري بأن يعيد الجائزة إلى اسمها وقد أعادوها إلى اسمها الأصلي،

ولكن عليهم أيضا أن يعيدوا كل الجوائز التي أعطوها للمثقفين وتحمل اسم مبارك لأصلها لتحمل اسم جائزة النيل. وأحب أن أشير إلى أن هذه الجائزة أعطاني إياها ٦٠ مثقفا مصريا وليس مبارك، وكذلك بالنسبة للوسام التونسي فأنا لم أر زين العابدين بن علي ولا وزير الثقافة التونسي وإنما أرسل إلي الوسام هنا لمجهوداتي في دراسة السيرة الهلالية وجمع السيرة الهلالية التونسية من الجنوب التونسي، للتقريب بين المشرق العربي وتونس، فلم آخذ هذا الوسام لشهرتي وإنما كنتيجة لعملي الدؤوب على الأدب الشعبي التونسي والمصري، وهذا تكريم من المثقفين التونسيين.

* في محنة مرضك كان الرئيس السابق دائم الاتصال بك للاطمئنان عليك وأصدر قرارا بعلاجك على نفقة الدولة، هل أثر هذا الوجه الإنساني للرئيس السابق على تقييمك له؟

– ضاحكا: هو دائما كان يتصل بكل المرضى في الحقيقة، وأردت أن أرد له الاتصال الآن ولكنهم يمنعوننا من الاتصال به. اتصال مبارك بي أو بغيري في الأزمات الصحية ليس وجها إنسانيا وإنما دعائيا وإعلاميا، ففي مصر هناك ملايين الفقراء لم يتصل بهم أحد وتركوا ليموتوا. فأنا لا أخلط الشخصي بالعام، أنا اعتقلت في عصر عبد الناصر ٦ أشهر ولكن عبد الناصر بالنسبة لي شمس هذه الأمة العربية بأكملها، فهو محرر كبير، فالأمور الشخصية لا تعميني عما يحدث في الواقع أو في ضمير الأمة. وأنا لم أعالج على نفقة الدولة وإنما سرقت أموالي من قبل وزير الصحة الأسبق حاتم الجبلي، فأنا حين ذهبت إلى المستشفى في باريس بنفسي، دعمني صديقي الشاعر السعودي الأمير عبد الرحمن بن مساعد، الذي ما

إن علم أنني مريض حتى أسرع بطائرته الخاصة لتنقلني للمستشفى الأميركي بباريس ووضع لي أموالا في خزينة المستشفى، وعندما هاتفني مبارك وزكريا عزمي وأصروا على علاجي على حساب الدولة، فإذ بالملحق الطبي لسفارتنا في باريس يستغل الحساب الذي وضعه لي صديقي الشاعر عبد الرحمن بن مساعد في تسديد فاتورة العلاج وأفهموا الناس أنني أحاسب على نفقة الدولة، وهذا لم يحدث، وأنا قلت ذلك في وجود الجبلي، وحين تحدث فاروق حسني، وزير الثقافة الأسبق مع حاتم الجبلي في الأمر، قال له الجبلي إن هذه الأموال دخلت خزانة وزارة الصحة وإذا كنت تريدها يمكن أن تأخذ بها أدوية، يريد أن يعطيني أدوية بـــ٢٨ ألف يورو.

* هل كنت تتوقع هذا القدر من الفساد الذي ظهر بعد سقوط الرئيس السابق؟

- أنا كنت أعلم بوجود فساد، ولكنني لم أكن أتوقع أن يكون مبارك بهذا القدر من البشاعة والشره، ففي النظام السابق كان الذي لا يفسد ليس له مكان.

قصيدة الميدان لثورة ٢٥ يناير

الشاعر عبد الرحمن الأبنودى

أيادي مصرية سمرا ليها في التمييز

ممددة وسط الزئير بتكسر البراويز

سطوع لصوت الجموع شوف مصر تحت الشمس

آن الآوان ترحلي يا دولة العواجيز

عواجيز شداد مسعورين اكلوا بلدنا اكل

ويشبهوا بعضهم نهم وخسة وشكل

طلع الشباب البديع قلبوا خريفها ربيع

وحققوا المعجزة صحوا القتيل من القتل

اقتلني قتلي ما هيعيد دولتك تاني

بكتب بدمي حياة تانية لأوطاني

دمي دة ولا الربيع الاتنين بلون اخضر

وببتسم من سعادتي ولا احزاني

تحاولوا ما تحاولوا ما تشوفوا وطن غيره

سلبتوا دم الوطن وبشيمته من خيره

احلامنا بكرانا اصغر ضحكة علي شفة

شفتوتش الصياد يا خلق بيقتلوا طيروا

السوس بينخر وسارح تحت اشرافك

فرحان بيهم كنت وشايلهم علي كتافك

واما اهالينا من زرعوا وبنوا وصنعوا

كانوا مداس ليك ولولادك واحلافك

ويا مصر يا مصر آن العليل رجعتله انفاسه

وباس جبين للوطن ما للوطن داسه

من قبل موته بيوم صحوه اولاده

ان كان سبب علته محبته لناسه

الثورة فيضان قديم

محبوس مشافوش زول

الثورة لو جد متبانش في كلام او قول

تحلب وتعجن في سرية تفور في القلب وتنغزل فتلة فتلة في ضمير النول

متخافش علي مصر يابا مصر محروسة حتي من التهمة دي اللي فينا مدسوسة

ولو انت ابوها بصحيح وخايف عليها اي تركتها ليه بدن بتنخره السوسة

وبيسرقوكي يا الوطن قدامنا عيني عينك

يندە بقوة الوطن ويقلي قوم

فينك ضحكت علينا الكتب بعدت بينا عنك

لولا ولادنا اللي قاموا يسددوا دينك

لكن خلاص يا وطن

صحيت جموع الخلق قبضوا علي الشمس بايديهم

وقالوا لا من المستحيل يفرطوا عقد الوطن تاني

والكدب تاني محال يلبس قناع الحق

بكل حب الحياة خوط في دم اخوك

قول انت مين للي باعوا حلمنا وباعوك واهانوك

وذلوك ولعبوا قمار باحلامك

نيران هتافك تحرر صحبك الممسوك

يرجعلها صوتها مصر تعود ملامحها تاخد مكانها القديم

والكون يصالحها عشرات السنين تسكونوا بالكدب في عروقنا

والدنيا متقدمة ومصر مطرحها

كتبتوا اول سطور في صفحة ثورة

وهما علما و خبرة مداورة ومناورة

وقعتوا فرعون هرب من قلب تمثاله

لكن جيوشه مازالوا بيحلموا ببكرة

صباح حقيقي ودرس جديد اوي في الرفض

اتاري للشمس صوت واتاري للارض نبض

تاني معاكم رجعنا نحب كلمة مصر

تاني معاكم رجعنا نحب ضحكة بعض

مين كان يقول ابننا يطلع من النفق

دي صرخة ولا غني ودة دم ولا شفق

اتاريها حاجة بسيطة الثورة يا اخوانا

مين اللي شافها كدة مين اول اللي بدأ

مش دول شابنا اللي قالوا كرهوا اوطانهم

ولبسنا توب الحداد وبعدنا اوي عنهم

هما اللي قاموا النهاردة يشعلوا الثورة

ويصنفوا الخلق مين عنهم ومين خانهم

يادي الميدان اللي حضن الذكري وسهرها

يادي الميدان اللي فتن الخلق وسحرها

يادي الميدان اللي غاب اسمه كتير عنه وصبرها

ما بين عباد عاشقة و عباد كارهة

شباب كان الميدان اهله وعنوانه

ولا في الميدان نسكافيه ولا كابتشينو

"خدوده عرفوا جمال النوم علي الأسفلت

والموت عارفهم اوي وهما عارفينه

لا الظلم هين يا ناس ولا الشباب قاصر

مهما حاصرتوا الميدان عمروا ما يتحاصر

فكرتني يا الميدان بزمان وسحر زمان

فكرتني بأغلي ايام في زمن ناصر"

شايل حياتك علي كفك صغير السن

ليل بعد يوم المعاناة وانت مش بتأن

جمل المحامل وانت غاضض

بتعجب امتي عرفت النضال

اسمحلي حاجة تجن

اتاريك جميل يا وطن مازلت و هتبقي

زال الضباب وانفجرت باعلي صوت

لا حركتنا نبتسم ودفعت انت الحساب

وبنبتسم بس بسمة طالعة بمشقة

فينك يا صبح الكرامة لما البشر هانوا

وأهل مصر الأصيلة اتخانوا واتهانوا

بنشتري العزة تاني والتمن غالي

فتح الوطن للجميع قلبوا واحضانوا

الثورة غيض الامل وغنوة الثوار

الليل اذا خانه لونه يتقلب لنهار

ضج الضجيج بالندا اصحي يا فجر الناس

فينك يا صوت الغلابة وضحكة الانفار

وأحنا وراهم أساتذة خايبة

تتعلم ازاي نحب الوطن وامتي نتكلم

لما طال الصدي قلبنا ويأسنا من فتحه

قلب الوطن قبلكم كان خاوي ومضلم

أولنا في لسة الجولة ورا جولة

دة سوس بينخر يا ابويا في جسد دولة

ايوة الملك صار كتابة انما ابدا

لو غفلت عينا لحظة يقلبوا العملة

لكن خوفي مازال جوة الفؤاد يكبش

الخوف اللي ساكن شقوق القلب ومعشش

واللي مش راح يسيبه ولسة هيبقوا

وهيلاقولهم سكك وببان ما تتردش

وحاسبوا اوي من الديابة اللي في وسطيكم

وحاسبوا اوي من الديابة اللي في وسطيكم

والا تبقي الخيانة منك وفيكم

الضحك علي البق بس الرك علي النيات

فيهم عدوين اشد من اللي حواليكم

أجرأ تصريحات الأبنودى

إنْ كان على الموت قَبَاتْجاهُلُه ومِنْتِظْرُه

الموت ده ضلِّي.. ومش شايفُه لإني فْ ضِلّ

مقتول وقاتل.. وكُلّ ما منّا ليه عُذْرُه

ساعات يِقْربْ أوي منِّي وساعات بِيضِلّ!!

«مربع» عامي من ديوان «المربعات»، بمجرد أن تقع عينيك عليه يجبرك أن تتوقف عنده كثيرا، تتأمله وتعيد النظر فيه، تستجلي ما وراء بساطته الظاهرة ومألوف ألفاظه المنحوتة من صميم عاميتنا المصرية الأصيلة في الصعيد وعلى ضفاف النيل.

وكأن هذا المربع يوجز رحلة «الخال»، الذي جاء من قرية غائصة في أعماق صعيد مصر في نهاية الخمسينات، حيث تشكل هناك صوته وجاء مختلفا استثنائيا، ولم يلبث أن أصدر ديوانه الأول، وفي الستينات، أصبح معظم مطربي تلك الفترة يتغنون بكلماته، وسيظل الشارع المصري والعربي، إلى وقت غير قصير، يردد ويتغنى بأشعاره، ليثبت أن مهما اختلفت الآراء حول شعراء العامية، يتبقى هناك أصوات عامية بعيدة عن مواطن الشبهات والإشكاليات، ومنها صوت عبدالرحمن الأبنودي أشهر شعراء العامية.

وفي رحيله، يرصد «المصري لايت» أشهر ٢٣ تصريحا أطلقه «الخال» في آخر ٥ أعوام، لخصت آرائه ومواقفه في فترة بالغة الأهمية في تاريخ مصر.

١- «كنت حاسس أن رحيل السادات في الوقت ده نعمة بغض النظر عن أنه اُغتيل»

قالها «الأبنودي» متحدثًا عن شعوره عندما اغتيل الرئيس الأسبق محمد أنور السادات، عام ١٩٨١، خاصة أنه كان على خلاف دائم معه بعد توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل، وفقا لجريدة «الوفد.«

واستكمل «الأبنودي» قائلا: «لأني ضد الاغتيال، ولأني كتبت في لحظة انفعال، خصوصًا أن عمر الاغتيال ما حلّ مشكلة، واللي هيغتال هييجي مكانه، وهيجيب واحد بعده أسوأ، وعنده عقدة إن اللي قبله اُغتيل، لذلك أشعر الآن أنى أخطأت، لكن وقتها استعدت كل البلاوي اللي شيلها لي بدون ذنب»، فخرجت قصيدة «المتهم.«

»وتعبت أقرا اليفط بحثا عن العنوان.. وتعبت أقرا الوشوش بحثا عن الإنسان.. كل الخرايط ما توضح تبهت الأوطان».. مقطع من قصيدة «المتهم» التي كتبها «الأبنودي» عقب مقتل السادات.

وعنها يقول «الخال»: «القصيدة دي أنا دفعت تمنها غال.. وللأسف أنا لست من مدعى البطولة، وعشان كده مابحبش الكلام في الحجات دي، أنا

بعمل اللي عليا وادفع تمن أعمالي وأنا ساكت، والقصيدة دي كانت مكتوبة في السادات بعد موته.«

٢-« تلقيت أكبر طعنة في حياتي من التليفزيون المصري»

أعلن «الأبنودي» عن ثورة غضبه إزاء ما يقوم به التليفزيون المصري من إذاعة حلقات «السيرة الهلالية» في وقت متأخر من الليل، واعتبر ذلك «أكبر طعنة تلقاها في حياته، فضلاً عن أنه لم يحصل على أجره عن هذا العمل.

وأشار في حواره لجريدة «المصرى اليوم»، سبتمبر ٢٠٠٩، إلى الدور الإيجابي لعبداللطيف المناوي، رئيس قطاع الأخبار، صاحب المبادرة في تسجيل هذه الملحمة للبطولية لصالح التليفزيون المصري.«

٣- «خسارة فاروق حسني في اليونسكو ليست هزيمة بل انتصار»

بهذه العبارة وصف «الأبنودي» ما حدث مع وزير الثقافة الأسبق، فاروق حسني وخسارته لمنصب مدير عام منظمة «يونسكو»، في عام ٢٠٠٩، موضحا في تصريح له لقناة «الراي» الكويتية، بأنها «ليست هزيمة بل انتصار كشف مدى تجبر وطغيان القوى الصهيونية والأمريكية، التي تكتلت ضد العرب والمسلمين وضد مصر بالتحديد حتى استطاعت إبعاد فاروق حسني المرشح العربي والإسلامي من إدارة المنطقة وهذا يعود بالأساس إلى موقف الوزير الرافض للتطبيع»

وأضاف: «لقد حقق فاروق حسني أرقاما فاقت الجميع ولكنهم استخدموا نفوذهم لتتنازل مرشحة لصالح مرشحة أخرى، وفي الجولة الأخيرة حدثت مساومات وشراء أصوات بطريقة فجة تشبه ما يحدث في دول العالم الثالث، وعلينا أن نستفيد من الدرس ونعرف أن أمريكا والصهاينة لن يسمحوا لنا برفع قاماتنا إلا في حدود معينة يجب ألا نتجاوزها.»

٤- «أطالب مصر بالاعتذار للجزائر»

دعا «الأبنودي» مصر إلى الاعتذار للجزائر، وإصلاح علاقتها مع كل الدول العربية والإفريقية، حتى تعود كبيرة وفاكهة العرب كما كانت دائما، موضحا أن «مصر هي التي أخطأت أولا، عندما قام مجموعة من الشباب برشق حافلة المنتخب الجزائري بالحجارة، مؤكدا أنه كان من الواجب حينها أن يقدم المسئولون الاعتذار للجزائر، والاعتراف بهذا الخطأ»، وذلك في عقب مباراة منتخبي مصر والجزائر في تصفيات كأس العالم ٢٠١٠، وفقا لموقع.MBC

وانتقد «الأبنودي»، في مقابلة مع قناة «الحياة» في يونيو ٢٠١٠، «اضمحلال الفكر المصري إلى هذا الحد، والخضوع تحت تأثير من وصفهم بـــمجموعة من الجهلة الذين يعملون في القنوات الرياضية»، معتبرا أنهم من تسببوا مع بعض المسؤولين في هذه الفتنة بين الشعبين من أجل مصالحهم الشخصية.

٥- «جمال مبارك مسكين»

قال «الأبنودي» خلال حوار مع الإعلامي وائل الإبراشي لبرنامج «الحقيقة» على فضائية «دريم ٢»، في فبراير ٢٠١١، إن «جمال مبارك نجل الرئيس السابق عجل بالنهاية المأساوية للنظام، ولم يكن يرى مصر أو يهتم بمحبة الناس، ووزع الثروات العامة على أصدقائه بشكل تآمري، وكان يعتقد أنه يمكنه ببساطة حكم مصر لأن شعبها بلا إرادة، لكننا اليوم ننظر إليه كمسكين.«

٦- «ملامح مبارك ظهرت على المشير في خطابه»

هكذا كان رأي «الخال» في المشير محمد حسين طنطاوي، رئيس المجلس العسكري عقب قيام ثورة يناير، موضحا أنه يسير على خطى نظام الرئيس السابق حسني مبارك، وفقا لموقع.MBC

وقال «الأبنودي» في حوار مع برنامج «مصر تنتخب» على قناة «سي بي سي»، في ٢٣ نوفمبر ٢٠١١: «خطاب المشير لا يفرق كثيرا عن خطاب مبارك قبل التنحي، لقد توقعته قبل أن يقوله، لم يكن في الخطاب جديدا لكن المشير ظهر عليه ملامح الرئيس السابق كثيرا.«

٧- «لو لم أكن شاعرا لأصبحت حرامي»

عندما يتأمل «الأبنودي» رحلة حياته، يقول لنفسه لو لم أكن شاعرا لأصبحت «حرامي» ولصا خطير جدا، مثلما اقتنص المعاني الآن كنت هسرق الدنيا كلها.

وأضاف «الخال»:«في واقعة ظريفة، كنت في طفولتي اسمي (رمان)، لأنهم ظبطوني بسرق رمان من الجنينة اللي في البلد، وجري ورايا عم منسي، وهو أتخن إنسان في قريتنا، ولأن الرمان كان أثقل منى معرفتش أهرب لكنى كنت لص جميل»، وفقا لحواره لموقع «الصباح»، في عام ٢٠١٢.

٨- «حوار سد النهضة قعدة حشيش في غرزة»

وصف «الأبنودي»، جلسة الحوار الوطني التي عقدت في يونيو ٢٠١٣، بين القوى السياسية والرئاسة بـــ«قعدة حشيش.«

وأضاف «الأبنودي» في مداخلة هاتفية للإعلامي جابر القرموطي مقدم برنامج «مانشيت» أن «المشهد ذكره بفيلم الكيت كات والشيخ حسني»

٩- «الإخوان دول مش بتوع حوار.. دول بتوع عافية»

هكذا عبر «الخال» عن معارضته لنظام حكم الإخوان، في يونيو ٢٠١٣، وقال «الناس دول استولوا على السلطة، وسواء كان هذا بطريقة شرعية أو غير شرعية، فهم الآن تملكوا، ودول مش هيسبوها بسهولة أبدا.«

وأضاف: «مش ممكن تتكلم مع واحد من الإخوان، مبيخليكش تتكلم، يفضل هو يتكلم، شريط داير، هو بس اللي بيتكلم وهو حافظ صم زي ما كلهم حافظين.«

وأكد «الأبنودي» أن الثورة لم تأت بعد، وأن الإخوان يحاولون السيطرة على كل مفاصل الدولة «بالعافية»، وأكد أن أصحاب الثورة الحقيقة لم يظهروا في المشهد السياسي إطلاقًا، وسرقت منهم الثورة لصالح التيارات المتخلفة والمتشددة.

١٠- «البرادعي هو الأب الروحي للثورة »

هكذا تحدث «الخال» عن الدكتور محمد البرادعي، خلال مداخلة له مع الإعلامي جابر القرموطي، مقدم برنامج «مانشيت» على قناة «أون تي في»، يوليو ٢٠١٣.

وقال «الأبنودي» إن «محمد البرادعي هو الأب الروحي للثورة المصرية»، مضيفا أن «الشعب لن يستسلم مرة أخرى لأي فصيل سياسي، الجماعات الإسلامية أساءت للبرادعي كثيرًا، وكان يهمنا الاستفادة من خبرته العالمية.«

١١- «البرادعي يرتبط بأوروبا وأمريكا وإحنا مش ناسه»

بهذه العبارة وجه «الأبنودي» اللوم للدكتور محمد البرادعي، لاستقالته من منصبه، مؤكدًا أنه أخطأ، وقال في حواره مع الإعلامي خيري رمضان، على فضائيةCBC ، فبراير ٢٠١٤: «كتبت مربع عن الدكتور البرادعي، لكني لم أنشره، لخوفي أن أكون قاسيا عليه.«

وألق «الخال» رباعية كان نصها: «طبعك يخالف طبعي.. كما كنت كون يا عم.. ومبروك عليك يا برادعي.. برستيجك أهم.«

وأضاف «الأبنودي» قائلًا: «البرادعي يرتبط بأوروبا وأمريكا وإحنا مش ناسه.«

وتابع «الخال»: «نصحت الناس ألا ينتخبوا الإخوان لأنهم مثل (القراضة) لا يخرجون إلا بالدم، والذين انتخبوا الإخوان كان البحر من أمامهم والعدو من خلفهم، لأن الفريق أحمد شفيق كان يمثل النظام القديم.«

١٢- «حماس لعبة في يد الكيان الصهيوني وفصيل إرهابي مثل الإخوان »

هكذا يرى «الأبنودي» حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، حيث قال إنها «فصيل إرهابي مثل الإخوان والقاعدة»، وفقا لصحيفة «الوطن.«

وأضاف «الخال» خلال استضافته ببرنامج «مصر الآن»، على قناة «إم بي سي مصر»، في مارس ٢٠١٤: «حركة حماس لعبة في يد الكيان الصهيوني لتقسيم الأراضي الفلسطينية»، مطالبًا حماس بالتوبة قبل الحديث عن المصالحة.

وأوضح «الأبنودي» أن «حماس يدها ملوثة بالدماء»، معربًا عن إشفاقه على الشباب المصري الذي يعتبر حركة حماس حركة مقاومة، وهي في الأساس حركة تخريب في مصر.

١٣- «سأقاضي بطل فيلم حلاوة روح لو لم يغير اسمه الفني»

طالب «الأبنودي» الطفل كريم الأبنودي، بطل فيلم «حلاوة روح»، بتغيير اسمه الفني لأنه لم يحصل على تصريح رسمي منه، لنسب اسمه لعائلة «الأبنودي»، وتوعد «الخال» بمقاضاة «كريم» هو وأهله لو استمر في استخدام اسم «الأبنودي» ونسب نفسه للعائلة.

وقال «الخال» في اتصال هاتفي مع الإعلامي محمود سعد ببرنامج «آخر النهار»، المذاع على فضائية «النهار»، أبريل ٢٠١٤: «كريم ولد موهوب وسبق أن قدمته لك لكن به عيب خطير، أرفض نسبه لأسم عائلة الأبنودي، فبناتي فقط هن اللاتي يحملن اسمي.«

وأضاف «الأبنودي»: «استخدامه لاسمي قد يجعل الناس ينسبون أفعال كريم لعائلتنا في المستقبل، وأنا لا أضمن سلوكه، فهو له أب ربنا يحفظه له عليه أن ينسب له.«

١٤- «حمدين صباحي هيجيبنا الأرض لو حكمنا»

قال «الأبنودي»، إنه يدعم عبد الفتاح السيسي، المرشح المحتمل لرئاسة الجمهورية، في سباق الانتخابات الرئاسية، في تصريحات خلال لقائه ببرنامج «مصر في يوم» الذي يذاع على فضائية «دريم٢»، في أبريل ٢٠١٤.

وأضاف «الأبنودي» أنه دعم «صباحي» في الانتخابات الرئاسية السابقة كونه صديقه، ومن أجل تفادي دعم محمد مرسي، رئيس الجمهورية السابق، أو أحمد شفيق، المرشح الرئاسي السابق، قائلاً:

«حمدين راجل رومانسي بيحب مصر، ولا يصلح أن يكون حاكما لها، ولو حكم مصر هيجيبها الأرض»، وفقاً لقوله.

١٥ - «تقولوا ثورة ٣٠ يونيو جابت العسكر يبقي ثورة ٢٥ يناير جابت الإخوان»

قالها «الأبنودي»، في يوليو ٢٠١٤، موضحا أن الشباب في تطرفه العنيد، الذي يهتف ضد النظام الجديد وثورة ٣٠ يونيو يقف مع الإخوان على أرضية واحدة، لافتًا إلى أن تهجم هؤلاء عليه لا يستند لواقع فقد "اكتسبت وعيي من نضال واعتقال وليس من موقع «تويتر»

وأضاف «الأبنودي»، خلال حواره مع الإعلامي وائل الإبراشي في برنامج «العاشرة مساء» على قناة «دريم٢»، أن هناك عقولًا مدربة لها أجندة خاصة تدير معركة ضد الدولة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، وأن الإخوان يستغلون نفس المنهج لمحاربة الدولة.

وتابع «الخال»: «لا يصح اتهام الشباب بالعمالة بل هناك عناصر مصرية السكن والإقامة، لهم أهداف مغرضة والشباب ينساق مع دعاواهم»، مؤكدا أنه: «لولا وقوف الجيش مع الشعب في ثورة ٣٠ يونيو لسقطت البلاد في هوة صعب التكهن بنهايتها، معتبرًا أن ثورة ٣٠ يونيو هي ثورة الشعب الحقيقية التي صححت وعالجت ثورة يناير الجريحة»

وخرج «الخال» بقصيدة «من كتاب الثورة»: «أول كلامي أصلّي ع النبي العربي.. نبي ما كان يكره إلا ريحة الخايّنين.. وَافْتَّح كِتابَ مصر

واقرا القصة بالعربي.. وما جرى فيها في يونيه في يوم تلاتين.. يتمطّع الضدي ع الخُضرة في ساعة عصر.. كأنه نسْمَة خصُوصي جايّه للمساكين.. كان مين قِدِر والاَّ يقدر يِتْنِي راية مصر.. حلم الغزاة اللى داير من قرون وسنين؟»

١٦- «علاء عبدالفتاح وأمثاله (نشاذ) لا يعرفون معنى الوطنية»

هاجم «الأبنودي»، الناشط السياسي علاء عبدالفتاح، بسبب تعليق له على الجنود المصريين عقب حادث الشيخ زويد بشمال سيناء الإرهابي، وقال «الأبنودي» إن «علاء عبد الفتاح وأمثاله نشاذ، ولا يعرفون معاني الوطنية والانتماء.«

وأضاف «الأبنودي»، في حواره مع الإعلامي حمدي رزق، مقدم برنامج «نظرة» على قناة «صدى البلد»: «دول رايحين علشان يدافعوا عنك وعن الشعب المصري كله.. مش رايحين علشان نفسهم يموتوا ولا معجبين بالموت»

وأكد أن مصر تتقدم إلى الأمام، ولكن هناك بعض الأشخاص أمثال علاء عبد الفتاح، يحاولون التصدي لهذا التقدم.

وكان الخال» قد أهدى، في ديسمبر ٢٠١١، قصيدته «ضحكة المساجين» لـ«عبدالفتاح» الذي صدر قرار بتجديد حبسه من نيابة أمن الدولة العليا، على ذمة التحقيق في أحداث ماسبيرو.

»وكل ما الصوت البليد.. بلّد.. لا تِبتئِس م الظلم.. واتجلّد.. منِ ده اللى يطفى شعلة الصادقين؟.. واللي يُقف في وش ثوّارها.. ما حيورث إلاّ ذلها وعارها.. واللي حيفضل.. «ضحكة المساجين.«

١٧- «مرسي عندنا ما يساويش بصلة»

قال «الأبنودي»: «مصر بتتحرك للأمام واللي بيخربوا دلوقتي إخوان مع ثوريين وإحنا هدفنا إنقاذ الشباب بالتجربة والوعي، والإرادة المصرية قادرة على ذلك»

وأضاف «الخال» خلال لقائه ببرنامج «نظرة» مع الصحفي حمدي رزق، على فضائية «صدى البلد»، في نوفمبر ٢٠١٤، أن «ثورة ٣٠ يونيو حطمت آمال أمريكا التي قامت بتغيير تحالفاتها في المنطقة بسبب ما شهدته مصر»

وأوضح أن الرئيس الأسبق محمد مرسى لديه قيمة كبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، قائلا «مرسى عندهم رمز لصعودهم وانتصارهم لكن عندنا ما يساويش بصلة.«

وقال «الأبنودي» إن «الإخوان أعداؤنا وإحنا أعداؤهم، ولا يمكن مصالحتهم ولو قبلتها الحكومة والرئيس إحنا مش هنقبلها»

وأكد أن «٢٥ يناير ثورة حقيقية قام بها الشعب المصري بسبب الفساد الذي كان بمصر، لكن كان وراءها متآمرون، بينما أكد أن ٣٠ يونيو ثورة صنعها الشعب المصري ولم تكون فيها أي أياد خارجية.»

١٨- «حكومة مبارك نصبت عليا»

في نوفمبر ٢٠١٥، صرح «الأبنودي» أن علاقته بالرئيس الأسبق حسني مبارك كانت خاصة جدًا، وذلك بسبب مرضه، وأن مبارك وزكريا عزمي اتصلا به للاطمئنان على صحته خلال فترة علاجه بالولايات المتحدة الأمريكية، وفقا لموقع.MBC

وأضاف «الخال» خلال لقاءه ببرنامج «يحدث في مصر»، الذي يقدمه الإعلامي شريف عامر على فضائية «إم بي سي مصر»، أنه تعرض للنصب من حكومة مبارك أثناء فترة علاجه بالخارج، وأن حاتم الجبلي، وزير الصحة الأسبق حصل على الأموال التي تبرع بها أحد الأمراء لعلاجي بأمريكا وضمها لخزانة الدولة.

١٩ - «السيسي صنع مذبحة القلعة دون أن يذبح أحد»

هذه العبارة وصف «الأبنودي» طريقة تعامل الرئيس عبد الفتاح السيسي مع الإخوان، موضحا أن رغم أن التنظيم الدولي لجماعة الإخوان مقره مصر إلى جانب تغلغل عناصر الجماعة داخل مؤسسات الدولة خاصة بعد وصولهم إلى السلطة، إلا أن المصريين استطاعوا التخلص منهم في يوم وليلة، وفقا لصحيفة «أخبار الحوادث»

وقال «الأبنودي» خلال حواره مع وائل الإبراشي ببرنامج «العاشرة مساء» المذاع على قناة «دريم٢»، فبراير ٢٠١٥، «السيسي صنع مذبحة

القلعة دون أن يذبح أحد، الشعب المصري استطاع أن يقتلع جماعة الإخواني من مواقعهم في يوم وليلة وهذه معجزة تعود له»

٢٠- «كنت أكتب أغاني هابطة للإذاعة الكويتية»

في حديث للذكريات، قال «الأبنودي» إنه كان يؤلف أغاني ذات مستوى هابط ومنخفض بصحبة الملحن بليغ حمدي لكي تناسب الإذاعة الكويتية، للحصول على مرتبات تغطي نفقاتهم.

وأكد خلال حواره لبرنامج «آخر النهار» على قناة النهار، في أبريل ٢٠١٥، أن إحدى الأغنيات «بالراحة» قرأتها أم كلثوم وأحبتها وأرادتها، لكنه رفض لأنها دون المستوى من وجهة نظره ولا تناسب مستوى أم كلثوم.

واعتذر الإعلامي محمود سعد للكويتيين، وأكد على حب المصريين لهم وأن الواقعة كانت في الماضي.

٢١- «السيسي طاهر ولكنه جاء في زمن ملوث»

أى «الأبنودي» في السيسي ما كان يراه في الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قائدًا ملهمًا، ومدحه قائلًا: «السيسي طاهر ولكنه جاء في زمن ملوث»، واصفًا القيادة السياسية للبلاد المتمثلة في السيسي عليها إجماع شعبي لا يتخلف أحد على طهارته إلا الباطل.»

وقال خلال حواره مع وائل الإبراشي ببرنامج «العاشرة مساء» المذاع على قناة «دريم٢»، فبراير ٢٠١٥: «الرئيس عبد الفتاح السيسي زعيم طاهر لا يختلف معه إلا الباطل، ولكنه جاء في زمن على ما يبدو أنه ليس زمن الناس الطاهرة الحلوة، خرجنا من فترة مسحت تضاريس مصر الإنسانية كلو ملوث، طلعنا من فترة حسنى مبارك وكلو مش مصدق»

٢٢- «الإخوان وراء شائعات وفاتي لدعمي ثورة ٣٠ يونيو»

صرح «الأبنودي»، في مارس ٢٠١٥، أن «جماعة الإخوان المسلمين والمعادين لثورة ٣٠ يونيو، يقفون وراء شائعة وفاته، ويطلقونها من حين لآخر، لإثارة البلبلة.«

وأكد «الأبنودي»: «أن البلاد كانت تسير في منحدر خطير ينتهي بها في الهاوية، لولا ثورة ٣٠ يونيو المجيدة، ومساندتها من قبل القوات المسلحة، التي صححت مسار ثورة ٢٥ يناير.«

٢٣- «حياً أو ميتًا أنا عبد الرحمن الأبنودي، ظلموني ما رضيتش أتظلم»

آخر كلمات «الخال»، عن الموت قبل وفاته، في لقاء سابق مع الإعلامية لميس الحديدي، في برنامج «هنا العاصمة»، الذي يذاع على فضائية «سي بي سي»

المصادر والمراجع

- جريدة الوطن . زيارات الأبنودى الخاطفة للشاشة الذهبية الإثنين, أبريل ٢٧, ٢٠١٥ | انتصار صالح |
- الدستور. الخال مستبعدا من الأكاديمية المصرية . الأربعاء, أبريل ٢٩, ٢٠١٥ | ياسمين الغمري ٣:٠٢:٠٧ |
- يا منة وقصائد أخرى . المختارات . عبد الرحمن الأبنودى . أطلس للنشر والتوزيع . القاهرة.
- «المصري اليوم». آخر قصائد عبد الرحمن الأبنودي: «مواويل مصرية»الثلاثاء ٢١-٠٤-٢٠١٥كتب: عبدالرحمن الأبنودي
- وجوه على الشط . عبد الرحمن الأينودى . اطلس للنشر والتوزيع . القاهرة .
- أيامى الحلوة . عبد الرحمن الأبنودى . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .
- في ذكرى "نكسة ٦٧".. كتّاب ومثقفون يروون تأثير النكسة على الحركة الثقافية أ ش أنشر في الوادي يوم ٠٥ - ٠٦ - ٢٠١٣
- الوطن . أغنيات الأبنودى ووجدان مصر والعرب.أحمد السيد النجار
- http://www.youm٧.com/story/٢٠١٤/٧/١٣/الأبنودى-لوائل-الإبراشى--حكومة-محلب-تجزر-الفقراء-وعجرفتها-تذ/١٧٧٢٢٦٢#

فهرس

مقدمة ٥

الشعر وثورات الربيع العربى..... ٧

من هو عبد الرحمن الأبنودى؟ ١٣

عبد الرحمن الأبنودى والملاحقات الأمنية ٢٠

الأبنودى وهزيمة ٦٧ ..... ٢٧

الأبنودى والمثقفون ونكسة ٦٧ ..... ٣٣

الأبنودى ومذكراته فى المعتقل ٤٤

تناتيش من حياة الأبنودى ٤٩

أغنيات الأبنودى ووجدان مصر والعرب ٦٤

الخال الأبنودى شاعر الثورة والسلطة ٧٢

الأبنودى ورثاء عبد الناصر ٧٧

الأبنودى شاعر الحياة والأحزان غير العادية ٨٣

عبد الرحمن الأبنودى وأيامى الحلوة ٨٩

صلاح جاهين والأبنودى ١٠٧

الأبنودى وعبد الحليم حافظ ١١١

رؤية عبد الرحمن الأبنودى الأدبية ١١٧

الأبنودى وثورة ٢٥ يناير ١٢٥

قصيدة الميدان لثورة ٢٥ يناير ١٣٧

أجرأ تصريحات الأبنودى ١٤٤

الفهرس ١٦٠